

ثلاث شجرات كبيرة تثمر برتقالاً

مجموعة قصصية

بهي الطاهر عبدالله



ثلاث شجرات كبيرة تمر برقلا

مجموعة قصصية



يحيى الطاهر عبد الله

www.liilas.com

للمقبل

للربة العذراء مع الخالدين فوق قمم الأوليمب المسنونة

• لأبي الشيخ بالكرنك القديم •

• لخليل كلفت بمسرح الجيب بالقاهرة •

« يحيى الطاهر عبد الله »

(ولكنى حين استعيد فى ذاكرتى جميع الظروف والملابسات ،
أعتقد أننى قد أتبين بصيصا يفصح عن جانب من المنابع واللواحق
التي تسللت الى ماكرة تحت شتى ضروب التنكر والتخفى ، وأغرتنى
بالمشروع فى أداء ذلك الدور الذى قمت به ، هذا الى أنها داهمتنى
فجرتنى الى التوهم بأن ما أدبته انما اخترته بمحض ارادتى الحرة
السديدة وحكمتى الرشيدة) •

هرمان ميلفيل

فى « موبى ديك »

ثلاث شجرات كبيرة تثمر برتقالاً



– ماما

خرجت الأم ، أمام الخيمة وقفت :

– عين ماما

كررت عزة فى ضيق ودلع وكان لم تسمع :

– ما .. ما

وشىء ما أيضا فى صوتها حزين

(قالت الام لنفسها)

هى مسافة قصيرة – تفصل بين الابنة والام – مشتها الام وصارت فوق رأس ابنتها، كانت الطفلة قد عرت ساقها بأن رفعتها الى أعلى وقد نامت على بطنها ملتصقة بالرمل الدافىء مستندة بكوعها على الرمل الدافىء ، وقد أراحت ذقنها على كفيها . حبات رمل حملتها الريح وانتشرت فوق شعر الطفلة ، حبات الرمل بدت لامعة تحت الشمس وكذلك شعر الطفلة بدا لامعا .

– صغيرتى حلوة .. هى رائعة ابنتى .. عروسة تصير ..

تلبس الأبيض .. ناعم وخفيف .. عريس لعزة سيكون (قالت الام لنفسها) – وقالت :

– وبيت لها سيكون .

ونظرت الى ما وراء الأسلاك وقالت :

وكرمة لها ستكون .

– ماما : الآن قولى له أن يحضر

– ماما : أريد برتقالا

– أريد برتقالا وأريد بابا جاسم يا ماما

(كانت عزة تنادى جاسم أخاها : ببابا ، مات حمد والد الطفلة

منذ ست سنوات . . كان عمر عزة وقت ذلك : شهر ونصف شهر ويوم

بليلة ونهار ، مات حمد ، فى هذه الخيمة التى تسكنها الأم والابنة

. . كان جسده باردا وشمعيا ومتصلبا . . كان قد مات . كان داخل

الخيمة ممددا على الحصير . . ميتا (قالت الام للرجال وهم يحفرون

الرمل : كذب . . كذب . . لقد مات من الجوع . . لو وجد الطبيب

لما مات (رجل افرنجى كان موجودا وعلى كتفه شارة غوث اللاجئيين ،

كان يبدو أنه حزين وخجل (صرخت : لماذا لا يموت الآدمى من الجوع!!

الآدمى يموت من الجوع) هناك فى يافا كان قويا . . قويا كان ،

كان يثور وكانوا يسمونه هناك فى يافا : البحر . . وهناك أيضا كانوا

يسمونه : الليل . . كان يضحك للنكتة . . ودائما كان يبتسم لها

فى يافا . . وكان سعيدا . . . انغرباء من كل بلد جاءوا . . وما زالوا

هناك الغرباء . . وهو جاء الى هنا ومات . . غريبا مات ، الأنف

والحاجب والحول الخفيف كل ما بقى من حمد فى جاسم ابنها وابن

حمد) .

زعقت الطفلة وقذفت فى الهواء الساخن كفا مملوءة بالرمل

الساخن :

– أين هو يا ماما . . لقد تأخر . . لقد غاب كثيرا يا ماما ؟

قالت الأم :

– هناك

وأشارت بيدها وراء الأسلاك

– هناك

(هذه المرة كانت تكرر لنفسها وتؤكد)

قالت الطفلة :

– لماذا هو هناك ؟

لأن الغرباء هناك .. لأنهم من هناك يجب أن يخرجوا ليحضر

هو الى هنا ويأخذنا الى هناك

(قالت الأم)

وثبتت الطفلة واقفة ، عادت وركعت على ركبتيها .. ألقى

برأسها الى الخلف وأعادته بحركة جديدة وظلت تنظر الى هناك ..

الى ما وراء الأسلاك ، ورددت في همس :

– من هناك يجب أن يعود ليأخذنا من هنا

– ماما .. يجب أن يعود من هناك ويأخذنا الى هناك

قالت الأم :

– يجب أن يخرجوا من هناك ليحضر هو الى هنا ويأخذنا الى

هناك

وقالت :

– أهدنا هناك يجب أن يكون .. أن نكون نحن هم لا يكونون

ارتمت الطفلة في حجر أمها التي جلست .. ضمتها الى

صدرها وظلت تضغط ، تملمت الطفلة ولذت للأم أن تشير عنادها

فظلت تضغط ، كانت الطفلة تحاول التخلص دون جدوى .. وفازت

به بعد أن أوهمتها الأم بانها قد غلبت على أمرها ، ظلت الطفلة تضرب

فخذ أمها بكلتا يديها :

- من هناك يخرجون .. هناك بابا جاسم .. من هناك الى
هنا يعود بابا جاسم .. وياخذنا ماما الى هناك ..

وقالت :

- ماما .. أنا أحب بابا جاسم .. بابا جاسم سيأخذنا من
هنا الى هناك

قالت الأم :

- بعد أن يخرجوا .. بابا جاسم يأتى وياخذنا معه .. أنا

وانت

قالت الطفلة متسائلة :

- برتقالا يحضر معه .. أنا أحب البرتقال يا ماما .. برتقالا

لأجلى يجب أن يحضر

أجابت الأم :

- هناك لنا ثلاث شجرات ثمر برتقالا

تساءلت الطفلة :

- كبيرة هي الثلاث شجرات يا ماما؟؟

أجابت الأم :

- نعم كبيرة .. كبيرة

ورسمت بذراعيها فى الفضاء حجم الشجرات وقالت :

- هكذا كبيرة

قالت الطفلة :

- وتحت شجرات البرتقال أنام يا ماما؟؟

- نعم تنامين تحت ثلاث شجرات من البرتقال كبيرة

- واكل برتقالا كثيرا !!
- وبرتقالا كثيرا ياغالييتى تاكلين
- أنا أقدر أن أطلع شجرة برتقال كبيرة
- لا .. شجر البرتقال لن تطلعي
- لا .. ولكننى سأطلع شجرات البرتقال .. ثلاث شجرات كبيرة أطلع
- صغيرة أنت .. ولا يجب أن تطلعي شجرة البرتقال لانها كبيرة تكون
- لن أكون صغيرة
- نعم صغيرة لن تكونى

من جديد لمت الام ابنتها وغطتها بذارعيها ، قالت :

- كبيرة تصيرين .. وكبيرة تذهبين الى السوق .. تحملين الخضار لبيتنا .. هناك لنا سوق .. لفلسطين أسواق كثيرة .. ببلدتنا سوق كبيرة .. أنا صرت عجوزا .. أنت تقومين بكل أعمال البيت .. تنامين على سرير بمفردك .. لن تنامى معى .. ستكونين كبيرة .. لى سرير ولك سرير .. سيكون لسريرك ملاءة بيضاء وكذلك لسريرى ملاءة بيضاء ..

قالت الطفلة معترضة :

- ملاءة خضراء يا ماما

وافقت الأم :

- بسوق بلدتنا ملاءات خضراء

قالت الطفلة فى فرح :

- وثياب خضراء يا ماما !!
قالت الأم منساقة ومشجعة لفرحة ابنتها :
- في بلدتنا سوق به ثياب خضراء .. وحمراء وصفراء
قالت الطفلة :

- خضراء وحمراء يا ماما !!
غنت الأم وهي تصفق الواحدة :

خضراء خضراء

وصفراء أيضا وحمراء

خضراء وحمراء

صفراء وخضراء

وردت الطفلة مع أمها .. وغنتا معا :

صفراء وخضراء

ثياب صفراء

ثياب خضراء

خضراء وحمراء

قالت الأم :

- لعرسك أصنع كعكة كبيرة

ردت الصغيرة :

- حمراء تكون .. الكعكة الكبيرة حمراء تكون

قالت الأم :

- وعلى الكعكة انثر حبات اللوز

قالت الصغيرة :

- صفراء وحمراء

قالت الأم :

–والفسدق حبات حبات

قالت الطفلة :

– صفراء وخضراء ٠٠ حمراء وصفراء

قالت الأم :

– والبندق

قالت الصغيرة :

– أخضر سيكون ٠٠ أحمر سيكون ٠٠ أصفر سيكون

– قالت الأم تصحح وضعنا خاطئنا :

– أحمر يكون ٠٠ وأصفر سيكون

ردت الطفلة في سرعة وهي تستدرك الخطأ :

– أحمر سيكون ٠٠ أصفر سيكون

قالت الأم :

– عوينات الجمل على الفطيرة ستنام ٠٠ حبات كبيرة ٠٠ وكثيرة

ستكون

صفت الصغيرة :

– خضراء وحمراء يا ماما

قالت الأم تسال :

– أم طيبة أنا ؟

قالت الطفلة :

– طيبة أنت يا ماما

قالت الأم :

- عجوز وطيبة أنا

أجابت الطفلة :

- عجوز أنت وطيبة أنت يا ماما

قالت الأم :

- ولي بنت طيبة وصغيرة .. حلوة وصغيرة

قالت الصغيرة :

- طيبة أنا .. طيبة وصغيرة

قاطعتها الأم :

- أنت حلوة وطيبة .. صغيرة لن تكوني

قالت الطفلة :

- كبيرة أكون .. كبيرة وحلوة

قالت الأم :

- ستغسلين كل الملابس

قالت الصغيرة :

- كل الملابس

قالت الأم :

- الخضراء والحمراء وكذا الصفراء

قالت الصغيرة :

- الخضراء والحمراء .. وكذا الصفراء .. والحمراء والصفراء

كانت الطفلة قد نامت ، كانت تبتسم في الحلم ، وفي الحلم كانت الشمس الحمراء تقذف الرمال الصفراء بالظلال الحمراء ..

كانت الرمال حمراء وكذا التلال ، وكانت هناك مياه حمراء وثياب حمراء وطيور حمراء كثيرة لها أجنحة حمراء ترف في الفضاء الأحمر ثم تهبط لتلتقط بمناقيرها الحمراء أشياء حمراء .. كانت هناك أشياء كثيرة حمراء تهبط من أجلها الطيور وترف وتطير بأجنحة حمراء في الفضاء الأحمر الأحمر ..

كان الليل قد جاء ودخل الخيمة ، وكانت الريح بالخارج تضرب الخيمة بالرمل ، ورائحة ليل يافا المحمل بالعطر تفتحت عنه أزهار البرتقال وملأت به الجو .

ومن مكان ما بالخيمة - لا يمكن للأم أن تراه : رغم الضوء الذي اقتحم به القمر الخيمة أيضا - كانت هناك أنفاس شخص ثالث ..

همست :

- حمد ..

وحدثت نفسها :

- هو حمد .. أتى كالعادة في الأوان ، وقت يغطي الزهر الأبيض أشجار البرتقال هناك في يافا ويفوح العطر هناك في يافا ويأتي الليل والريح من هناك من يافا يأتي حمد قويا كما كان في يافا .. أنفاسه القوية أحس .. هي أنفاسه قوية كما كان .. ودائما في هذا الأوان معي ومع عزة داخل الخيمة يكونان .. حمد وجاسم ..

وزعقت :

- حمد ..

ولم تسمعه يرد (هناك يسمونه البحر وأحيانا بالليل كانوا يسمونه هناك .. وهنا مات .. في هذه الخيمة .. غريبا دفن .. من يافا يأتي ليلا ومع رائحة أزهار البرتقال وأنفاسه قوية يطلقها)

وزعت :

- البحر

فقط أنفاسه كانت تسمع وأنفاس عزة ابنتيهما، كلمت نفسها:
- فى هذا الأوان حيث العطر به زهر البرتقال قد تفتح وجاء به
الليل والريح من يافا الى هنا حيث هذه الخيمة .. دائما فى هذا
الأوان يجىء حمد كما تعود .. ويجىء جاسم من مصر كما تعود ..
وهنا يكون . جاسم ولدى : منذ زمان تعلمت القراءة .. ومع كل
عام يتفتح فيه زهر البرتقال كنت تأتى الى هنا من مصر ومنك كانت
تصل المكاتيب !

جاسم ولدى : من هناك من مصر تعال والى يافا اذهب حيث
بيتنا والعدو يكون تواجهه بالسلاح وتضرب وتضرب ومن مصر تأخذ
سلاحا وتضرب وتضرب وتضرب وهناك فى يافا لا يصيرون .. ومن
هناك تأتى وتأخذنا الى يافا حيث بيتنا يكون والغريب لا يكون
وثلاث شجرات من البرتقال لنا تكون .

قالت الأم : تفتح الزهر ورائحته أشم .. جاء الليل ..
أيام كثيرة .. ولم يجىء جاسم وهذا مواعده؟! نسوة الحيام رددن :
لماذا جاسم؟ ان أحدا لم يحضر! زهر البرتقال بالعطر قد تفتح
والطيب يأتى به الليل من يافا نشمه .. والغائبون عنا - عيوننا
التي بها ننظر - بالسلاح هناك يضربون والغرباء يفزعهم السلاح
وصراخا نسمع .. بالفداة فى بيوتنا سنبتهج ، قالت الأم تكلم
نفسها : سالما يعود . وبيتنا هناك فى يافا يدخل .. يجد الغرباء
فى بيت حمد الذى كان رجلا بالف (كان البحر .. وكان الليل
هناك فى يافا .. شارب كثيف كان له .. وحواجب كثيفة كانت
له .. وعلى الصدر كان شعر غزير ، باحدى عينيه كان حول خفيف

•• كان جفنه ينغلق عندما يفضب- ويظهر الحول واضحا •• وواضحا
كانت تراه وقت أن يفضب •• عندما يغلق جفنه يظهر حول
خفيف •• كانت تراه وقت أن يفضب) •

قالت الأم : وقت أن يفضب جاسم يشبع عدوه رصاصا
وخوفا وموتا يشبعه •

وقالت تحدث جاسم : استمع لصوت دعائي يا ملكى ••
اصغ لى يا جاسم •• تأمل صراخى •• اليك أصلى •• جاسم أوجه
صلاتي نحوك وأنتظر •• يا جاسم بالغداة تسمع صوتى •• بالغداة
ابتهج بيتى وشجراتى وبك يا ملكى •

وكانت تحدث عزة النائمة وهى تهمس :

من هناك الى هنا يعود والى هناك يأخذنا أنا وأنت •• والى
بيتنا فى يافا حيث يبتهج القلب نغنى - أنا وأنت : للغنم ••
والبقر جميعا وبهائم البر أيضا •• وطيور السماء •• وسمك
البحر السالك فى كل المياه •••

وخلعت غطاء رأسها وفكت صفائرها - قالت : لماذا تختفى
فى أزمنة الضيق ؟ لماذا تقف بعيدا !! قم يا رب •• يا الله ارفع
يدك •• ارفع أحبائنا من أبواب الموت يحترق الشرير بكبريائه ••
يؤخذ بالمؤامرة التى فكر بها - لأن الشرير يفتخر بشهوات نفسه
•• والخاطف يجدف •• أليست أحكامك عالية فوقه !! عدوى موتا
يشبع وتشريدا وقتلا •• قتلة هم يا الهى •• فى أرضنا فى أرض

زوجاتهم لا يحرقون .. ذرية لا يحصدون .. بقدر ما حرثنا والذي
زرعنا نحصد .. ذرية وزيتونا وبرتقالا نحصد ومن كل طيب
نحصد .. وأعراسا نحصد يا الهى نحن .. نحن نسلك بالكمال
ونعمل بالحق ونتكلم بالصدق فى قلوبنا ولا نشى باللسان ولا نصنع
شرا بصاحبنا .. وفضتنا لا نعطيها بالربا والرشوة لا نأخذها على
البرىء ..

وقالت : قم يا رب بغضبك - ارتفع على سخط مضايقي وانتبه
لى : تقدمه .. اصرعه .. نج نفسى من الشرير - من ينزل فى
مسكنك .. من يسكن فى جبل قدسك .. واقض لى كحقي يتهيج
قلبي وأغنى - وهمست : لفجر كهذا الفجر الذى أراه : يدخل
بالضوء الفضى .. طاهرا ونقيا كحقي .. كيفا .. الحق طاهر
والفجر نقى كحقي كيفا .. وكذا القلب منا طاهر والحق والعدل
نحن .. ألسنا كذلك يا الهى ؟ .. ألسنا كذلك حيث جلالك فوق
السموات أيها الرب سيدنا .. يا الهى الم يكن البحر !! الم يكن
الليل !! وكان قويا وكان شعر كثيف وكان حول .. كان يبتسم
.. كان سعيدا .. فى يافا .. فى يافا ..

- ماما

زعقت عزة .. كانت قد صحت وكانت فرجة .. سكتت
الأم واحتضنت طفلها

قالت الطفلة : ساخنة أنت يا ماما

قالت الأم : نعم

قالت عزة : أنت لم تنامي

قالت الأم : نعم

قالت عزة : أنا أعرف لماذا

قالت الأم : نعم أنت تعرفين

قالت عزة : كنت تكلمينه أنا أعرف

قالت الأم : نعم كنت أكلمه

قالت الطفلة : كنت تطلبين منه أن يحضر الى هنا .. أنا

أعرف

قالت الأم : لقد طلبت منه أن يحضر

قالت الطفلة : ماما .. برتقلا معه لأجلى سيحضر

قالت الأم ساهمة شارقة الى الضوء يملأ صحراء الخارج :

هناك لنا ثلاث شجرات كبيرة تثمر ..

جبل الشاى الأخضر

كان جدى يصب الشاى فى الاكواب من ثلاثة اباريق صغيرة، وقد فرغ : تناول ابريقا كبيرا مملوءا بالماء الساخن وملأ الابريق الثلاثة من جديد وأعادها الى المجرمة ، من جواره أمسك بالابريق الاكبر من كل الابريق - والمسمى بالأوزة لطول عنقه - وصب منه الماء البارد فى الابريق الكبير حتى الحافة وأعاده أيضا الى المجرمة .

كنا صامتين فجدى لم يكن قد تكلم بعد

كنت أرقب المجرمة : الابريق الصغيرة الثلاثة كانت ترقد فى الرماد الناعم . . والماء كان يتقلب داخلها تحت قسوة الوهج ويقفل الغطاء الحارس . . والماء المحترق كان يهرب من تجويف العنق ويصفر . . وكانت أفواه الابريق الثلاثة تبخر الدفء فى جو الغرفة الشتوى . . وكان الابريق الكبير يصفر صفيرا عاليا - فهو يرقد فى قلب المجرمة تتحلقه عيون الجمر الملتهبة وتتسلقه حتى المنتصف وتتوهج على سطحه النحاسى اللامع شديدة الاحمرار .

كنت أعى أنه لا بد يرقبنى - وقد مسح المكان بعينيهِ وحاصرني ولاحق بصرى وأمسك بالشئ الذى سقطت عليه عيناى ليواجهنى به ككل مرة أمام الجميع . . يصعد الدم وتنتفخ به عروقى وتكاد تنفجر . . ويلتهب وجهى ويظل ساخنا يتشقق كما يحدث لآناء الفخار داخل الفرن الحار . . تكون الكلمات فى فمى كخيوط الصوف المغزول : مملوءة بالوبر الجاف وقد تشابكت

وصنعت أعدادا هائلة من العقد .. أعرف أنه الخجل ، أمام الجميع
أحس أنني بغير ملابسى .. يصرخ باعتقاده القاطع بأننى أبول على
نفسى أثناء نومى برغم أننى لم أعد طفلا .. ينسب ذلك لخبى للشار
المشتعلة .. وولعى بالجمر الاحمر المتوقد .. عيون الجميع
تتحلقنى .. تظل تتسلقنى .. أحسها تكوى منى الجنين .. تتوالى
الحروق وتاكل جسمى ويتوالى اللسع الحار .. وانفجر باكيا ..

عيناى أغمضتهما بسرعة .. وفتحتهما نصف .. فتحتهما
عليه : جالسا بجوارى وقد أسقط على عينيه الغاضبتين ، همهم ،
لم يكن جدى قد تكلم بعد ، رمقه بغضب .

- كامل .. أخضر ولا أحمر ؟

رد أبى فى عجل وكان متحرجا ..

- أيوه يابا .. أحمر .

كان جدى يوزع علينا صنوف الشاى .. طلبت لى شايا
أخضر .. ولما كانت عواطف أختى والتي تصفرنى بتسعة شهور
كاملة قد طلبت لنفسها من جدما شايا أحمر .. وكنت مدركا أن
الأمر يحتاج من جانبى لقدر من السرعة فى التصرف لينتهى تماما
.. قلت محدثا جدى فى صوت واطىء وجعلته مرحا :

- مش انت زمان يا جدى كنت صغير زينا .. وكنت تشرب

الشاى الاحمر لكن كبرت وعرفت أن الشاى الاحمر بيحرق الدم
فشربت الشاى الاخضر ..

كان جدى يبتسم .. كنت أنظر له وكنت أخشى أن أقرأ

وجه أبى .. قلت مخاطبا جدى :

- طيب ليه عواطف الصغيرة تشرب الشاى الاحمر .. والله

العظيم ثلاثة يا جدى دمها كله حيثحرق .. أصل دماغها ناشفة من
نوع الحجر وعائزه الكسر ..

كانت عواطف متذمرة .. وكان جدى يبتسم مازال .. أما
أبى فقد فاجئنى :

– مفيش غيرك اللى دماغه ناشفه وعائزه الكسر ..

نظرت الى يده ممسكة بالكوب ممتلئا حتى منتصفه بالشاى
الاحمر .. وأدركت اننى تعجلت ، خاطبته :

– أصلها مش بتسمع الكلام .

قال أبى فى أمر قاطع :

– روح شوف البهايم فى الحوش .. خل نوال أختك تجيب
اللبن بسرعة .

ونظر الى عمى «شرقاوية» وقال فى أمر أخف :

– خدى البنت ونضفى شعرها فى الشمس بره .. خليها
تفسله بعد كده .

كنت قد جريت حتى السقيفة وتخطيت السقف العارى النائم
تحت الشمس الحرة من الغيوم – قبل أن تصل عمى «شرقاوية»
ممسكة أختى عواطف بيدها وكانت أختى عواطف متململة فأخرجت
لها لسانى وجريت باتجاه الحوش .. كنت أسمع عواطف تشتمنى .

– ان شاء الله ضربة دم يابو ..

كانت تفهم أننى سأضربها فلم تكمل .. نظرت لها وأبدت
الشر .. قلت :

– طيب يا أم قملة ..

كنت أسمعها تبكي مجرورة خلف عمتي وأنا أذفح باب الحوش : كانت نوال أختي والتي تكبرني بتسعة شهور كاملة - راقدة فوق ظهر جاموستنا .. وكانت نائمة بصدرها وقد حضنت عنق الجاموسة بكلتا ذراعيها .. وكانت تمرجح ساقها وتحك فخذيها ببطن الجاموسة الأسود السخين .. كنت أرى أصابع قدمها التي تواجهني كخمسة مسامير دقت أسفل بطن الجاموسة .

صرخت معلنا عن وجودي فقفزت نوال على الارض مفزوعة ودلقت ماجور اللبن المملوء .. وجريت أنا لأنقل الخبر لأبي وجدى .

مررت بالسقف : كانت الشمس الحرة من الغيوم قد الهبتة بالسخونة .. وكانت عواطف وعمتي « شرقاوية » محتميتين بظل الجدار القصير .. وكانت عواطف راقدة فوق حجر عمته .. وكان رأسها نائما بين الفخذين .. وكانت عمتي تقلب شعر عواطف وتدهنه بالجاز الابيض من كوز صفيح يجاورهما ..

في الغرفة كان جدى يصب لنفسه كوبا من الشاي الاخضر .. وكانت أمي موجودة ترضع رمضان أخى الصغير جدا .. قلت لأبي ان نوال دلقت اللبن وأننى وجدتها فوق ظهر الجاموسة وأنها كانت تحرك ساقها .. وقلت ان أصابع قدميها العشرة كانت كعشرة مسامير من الحديد دقت أسفل بطن الجاموسة .. اصفر وجه أمي وسحبت ثديها من فم الولد رمضان فبكي .. وارقدت هي ثديها تحت ثوبها الاسود «الباتستا» ، أما أبى فقد قام منتصبا كالقصبية المشدودة المسنونة الرأس ، وكان جدى يدوس شفته السفلى تحت أسنانه ، أما أمي فقد خرجت من الغرفة ولاحظت أنها راغبة فى البكاء ..

وفى لحظة كان أبى قد عاد وصرخ بأنها غير موجودة .. وزعق طالبا أمي .. وصرخ فيها طالبا منها أن تحضر نوال من تحت باطن

الارض .. وفي غمضة العين كانت أمي قد أحضرت نوال وهي تجرهما
ونوال تصرخ بصوتها العالي الباكي لأمها وأبي بأنني كذاب ..
صرخت فيها بدوري :

– أنا مش كذاب .. انت اللي كدابة .

سقط كف أبي على صدغي بقسوة أوقعتني وصنعت خيطا من
الدم : كان دافئا .. كنت ملقى على أرض الغرفة التربة المرشوشة
بالماء .. وكان أبي يسحب نوال من ضفيريها ويجرجرها على
الارض .. كانت عمتي « شرقاوية » قد جاءت وكانت أختي عواطف
منكمشة وملتصقة وممسكة بثوب عمتها .. وكان جدي ممسكا
بسيخ ينتهي بحلقة وخطاف يقرب به الجمر .. كان يأمر أبي
في غيظ :

– اضرب .. اضرب يا كامل

كنت أشعر بطعم الطين في فمي وجانب وجهي نائم على السطح
الترابي الذي لم يعد جافا .. وكان الدم يسيل من جانب فمي
ولا يتوقف .. وكان ساخنا مازال .. وكانت نوال أختي معلقة من
عرقوبيها بحبل مشدود الى وتد ثبت بجدار الغرفة .. وكان أبي
يصعد ويهبط بكل جسمه كثور مذبوح .. كان يرفع يده ويهوى
بعصاة لينة رفيعة ويضرب الجسم العاري .. والدم كان يشخب
من الجسد العاري ويغطي وجهي ولا يجعلني أرى ..

كانت أمي تصرخ .. وكان صوتها باكيا .. وكان أخي
رمضان على صدرها لا شك يبكي .. وكانت تخاطب أبي :

– جوزها يا كامل .. كفاية يا كامل وتتجوز

كنت مغمض العينين وكنت أبكي .. وكنت مازلت على الارض
خائما ولم أعد متنبها للدم يطفر حارا من جانب فمي .. ولم أع بعد

لماذا طلبت أمي من أبي أن يكف عن ضرب نوال وأن يزوجهما . .
لكني كنت أتمنى لو يتم ذلك . . أن تتزوج نوال وأن يكف أبي
عن ضربها وأن تخرج من هذا البيت .

كانت أمي قد لمتني وارقدتني على الفراش الارضى وغطتني
بالحرام الصوف . . ولكني كنت أرتعش . . كانت تقدم لي الكوب
. . وكنت قد طلبت أن أشرب .

زعق أبي :

– ايه ده ؟ . .

قالت أمي :

– ميه ورماد . .

صرخ أبي :

– ارميه يابهيمة . . ادى الولد ميه بسكر . . واعصرى كمان
لمونتين . .

قالت أمي :

– مفيش لمون عندنا

قال أبي :

– أطلع أنا أجيب لمون . . وانت دوبي السكر فى المية .

كنت أدرك أنني سأنام وكنت عطشا . . وكنت أدرك أن
أحلاما كثيرة ستأتى . . وكانت كل الاصوات قد غابت . . وربما
كانت نوال تئن بصوت واطيء . . واطيء ولا يمكننى أن أسمعه . .
ولا يمكننى أن أسمع خطو قدميه الحافيتين تنفرسان فى الرمل
الساخن الجاف . . وقد هبط من فوق ظهر ناقته «عاتكه» . . وبلغ
الجبل وصعده . . يجمع من حوافيه أعشاب الشساي الأخضر . .
الخضراء . . ويأتى معه أيضا بحبات الليمون الخضراء .

الكابوس الأسود



تخطى الشريط الحديدى - متدحرجا من المسقط الحجرى - الى بؤبؤ الساحة الخراب : واجهه برد المكان المنخفض بأسنان مدبية ، واستقام لعينيه كائن العراء الخرافى : وقد غطاه قوس الافق الرمادى بعمامة خلت من الاقمار والنجوم .. وتحت قدميه كان يمتد فرش المكان القدر ينشع بالبول ونطف الغرائز الوضيعة . آئنذ : أحس بأنها الكوابيس السوداء رفيقة الرعب - حيث يأخذ عالم الشعور والجسد والروح وزنه الثقيل .

حضرته تلك الجملة (الاحمق والجاهل كلاهما يفتح جفنيه حيث أسقط العماء الضرورة) ، أطبق جفنيه تاركا جسده الثقيل يزحف موثوقا بحبال النداء المتقطع : يمدده باعة سجع وكبد وكلاوى وفجل وبلح أمهات - هناك أمام وخلف وفوق القنطرة الخشبية - لكل من تخطى الشريط الحديدى مرشدين الى العزبة .

كان هناك أمام القنطرة الخشبية ، وكانوا هناك باعة سجع وكبد وكلاوى وفجل وبلح أمهات - فوق وأمام وخلف القنطرة الخشبية - بعربات سترها الخيش خشية المطر المتوقع .. عاليها: فتائل غاز تتطوح رءوسها المدبية الصفراء وتزفر الدخان الاسود .. وقد عبر القنطرة متخطيا نداء القاعدة العجوز (أيوه يابيه أنا هه) .. وكلماتها تتكسر مهزومة خلف ظهره - شعر بطعم نصر تحقق لأول مرة (لقد ظفرت بخدمة مجانية) .

بين ذراعى ضباب رمادى هامد كانت ترقد بيوت العزبة : كتلة فاحمة صماء . تخيل طائر الرخ الاسطورى راقدا فوق بيضته

ذات الحجم الخرافي كأكبر ما تكون مدن العصر ، تلك القشرة
السميكة الصلبة المساء اللامعة تحت الشمس .. تتكسر عليها
حراب عتاة الرماة ، تخفى تحتها طبقة ليفية من وبر الجمال وشعر
النساء المتوحشات وصوف الخراف البرية وفراء أرانب الجبل
وأمعاء التماسيح والقنافذ ، ثم جوف عميق تسبح فيه أسماك كبيرة
وصغيرة وعقارب وأجساد عارية تلتف حولها الحيات .. أنهار
جارية بدم النفاس والولادة وليالي الطهور والزفاف : تشق الدروب
الغارقة فى العتمة ومواء القطط ونبح الكلاب وعواء الذئاب وهديل
الحمام والآه والآى ونقيق الضفدع ونعيق البوم .. خمور مسكوبة
ولعاب وبصاق وبول وقىء .. وأشجار صبار تتدلى منها غربان
ميتة وخنازير نافقة .. وأجساد لرجال ونساء وأطفال معلقة
شعورهم بأفرع شجرة الحشيش النورانية السحب : تنفث من
مسامها الابيض الرمادى الاسود الترابى المغبر على الرحم الكبير
الفاغر ينز بالدم والقيح والصديد وترعى داخله الديدان وتحوم
حوله الغربان ناهشة ناعقة وتقطر منه مياه الحموم وتضربه الريح
الملتأثة والشمس الصفراء .. ريح تصفر وأجراس أديرة وكنائس
تدق وتعلو أصوات المؤذنين والديكة فوق أنات الجرحى تحت
الانقراض والمرضى داخل الانفاق وببطن المناجم وحركة الارغفة
تستوى فى الفرن الساخن .. والجرار تكسرت عن الخمر والعسل
والحليب ممزوجا بدم الأسرى : تتكسر أجسادهم تحت حوافر
الجياد .. وفم طفل يمتص ثدى حاضن : يحيط به ذباب البقر
والحمير الوحشى اللاسع الطنان .. صفق السلاسل بسيقان الخيول
وكرات الحديد .. والسياط فوق ظهور العبيد: تشان.. تشان..
فى مارش الجناز الأبدى تعزفه فرقة الارض الملكية للخنفس المنتصر
والصرصار الحكيم تحت قوس النصر .

اصطدم بحجر - كان يمكن أن يخن موضعه - وكاد ينكفى،

عليه أن يكون حذرا : الطريق يضيق بعد ذلك ويصنع لسانا يمتد داخل الشريط المائي وينتهي بالبيوت ..

ككل مرة : يستدل بأشجار الصفصاف : سوداء ملتوية الأعناق ، ودائما هي رائحة الماء العطن : تنفذ حادة الى المعدة تهدد نصف زجاجة اليانسون ..

« هو الشتاء اللعين » - قال « الصيف يسقط - هنا - في الماء العطن : أقمار ونجوم تستحم مع آلاف الآلاف من الاسماك الصغيرة وترشدني الى بيت زوجتي الصفصافة العجوز » . قال - (أكره أشجار الصفصاف .. أكره أن تقهرني عوانس الصفصاف المدلاة الشعور) ضحك لأنه أحس أنه يتكلم بجدية وبحزن أكثر مما يجب ، وسمع ضحكاته تتكسر بعيدا في الراحاب الاربع ، استخف اللعينة ، كان يزعق واضعا كفيه على فمه (العانس .. ال .. ع ..) ، كان يضحك ثم يبكي وانتظر الصدى المتكسر في الراحاب الاربع (أجساد نحيلة واطئة .. صدور واطئة .. ثدى واطيء .. الناحلات .. الشاحبة .. فقط شعر .. لا يملكون سوى شعر .. الاناث .. الرجال .. النساء .. الحمقى .. الأنثى ليست شعر .. الحمقاء .. أ .. نا .. ر .. ا ..) ..

كان محاصرا بالسكون والظلمة والتعب - وقد كف عن النداء ، أحس بأن روحه منهكة ، وأنه فعلا مضطهد ومقهور وأنه حقيقة يتعذب ، شعر بالخوف لأنه مخمور ووحيد ، تذكر حكاية الفتى المغترب العائد من حرب الحواديت : يطلب موطنه البعيد الخيالي .. وزوجه الجميل الخرافية .. وفتاه البعيد .. وشيخه الأسطوري ، تفرقت الطرق أمام عينيه .. أغمضهما ماذا يده لجنيات

الطريق ، هناك فى الكهف الاسود : التفت حول جسده الافعى العملاقة ملكة ملكات مملكة الجان وظلت تنهشه ، تحت الالم والمذة كان يحلم بهم ينتظرونه فى الوطن البعيد الجميل ، وبالليل يكون البرد .. تغريه بأغطية الصوف .. تضمه لجسدها الميت .. يظل مشدودا الى العود اليابس بقوة السحر وأغطية الصوف المحجبة .
حضره كيف جاءت عروسا (كان الرجال يحيطونه وكلهم اقاربه ، كانت العروس مع النسوة والاطفال وكلهم اقارب فى الحجرة الاخرى ، قال بينه وبين نفسه : « كيف أتوا بكل هذه الاعداد ، أكمل ابن عمه - الشقيق الاكبر للعروس - وكان أثنى اللسان : « ركبنا الساعة ستة صبح امبارح .. » ولكنه وقد عرف «وجه» يتصور الامر أقرب الى المعقولة هكذا (النوق تمشى خبيا .. تاركة خلف ظهرها مضارب القبيلة فى الجنوب ، الفتيات داخل الهوادج يحدثن قلوبهن بالبعيد القريب المخبوء : سرىا وغامضا ومدهشا ، يسبق القافلة حسان العروس الابيض .. يلفها البياض المحلى بالترتر : يشرق ضاحكا للقمر الضاحك فى الاعالى ، يقود القمر القافلة الى الشمال - حيث هو العريس ، ومن بنادق الرجال غير المرخصة حكوميا لعلع الرصاص فوق الرؤوس الملقعة والوجوه المعصبة والأنوف المثقوبة تتدلى منها الحلقات ، والقمر لعلع والزغاريد لعلعت أيضا من أجله وأجل عروسه العذراء - وقت ذاك - رقصت الشفاه بالأناشيد والايدي بالدفوف وغنت العذارى أهازيج من رجز العجائز المجربات) .

يمكنه أن يغمض عينيه ويراهما تحت لمبة الغاز .. جالسة تنفخ نار «الكانون» .. بوجهها الدخانى وعينيها الدامعتين (سكران يابن عمى) .. بحزن صخرى وصوت من الكهف البعيد (كلت) .. يجلس على الصندوق الحشبي .. كان جهاز عرسها .. طار غطاؤه

المقبى وبات فى الركن تسكنه الفرختان .. ماتزال لفائف الصحف
القديمة تغطيه يحفها الاطار الصفيحى المرشر الصدىء .. وفى
الوسط كانت عروس شبيه بعرائس الحلوى فى الموالد تغالب طبقة
الدخان وتطل بلامحها التى نقشست بدم الفراخ وعصير الحناء .

كان الضفدع قد صحا فى وعيه وبدأ ينق .. كان يأتى من
الشطين ومن جوف الحقول غير المنظورة مقلقا .. وأيضا كان يأتى
من جوفه ويحدث قلقلة يضخمها احساسه المبهم المرفوض بأن
الضفادع ذات الجلود الغريبة والاشكال الحيوانية البشعة تسكن
معدته وتجرى فى أمعائه .. كان غير قادر على منع القيء المندفع
من فمه وهو يطرد رائحة الضفدع الكريهة .. وشعر ببرودة ملابسه
المبتلة .. كانت السماء تسقط المطر على أرض اللسان الممتد
الموصل للمبيوت وقد سخطت فوق ببرق ملتهب ورعد مجنون ..
وكانت أرض اللسان تجرى هاربة الى الوراء بعيدا عن البيوت، كان
المسير والوقوف والتوازن على الارض الزلقة الجارية للخلف الهاربة
من قدميه - صعبا بل مستحيلا ، كان يمنع سقوطه فى الشريط
المائى حاضنا شجرة الصفصاف .. ولكن عودها الهش تقصف
تحت ثقله ، وجد نفسه فى الماء المتكلس وقد أحاطته الاعشاب
واللزوجة والعفن .. وكانت قدماه تفوسان فى السطح الرخو
البارد ، وتذكر أن العوم لا يجدى حتى فيما لو كان يحسن العوم،
لم يكن هناك غيره ليصرخ ويناديه .. وكان اللسان يجرى هاربا
من البيوت .. كان بمقدوره أن يصرخ .. كان الماء بعيدا عن فمه ..

(٣٥) البلتاجى

(٥٢) عبد الخالق ثروت

من سبع سنوات بالتحديد ، جاء عباس
دندراوى ليأخذ مكانه كموظف بالثامنة الكتابية
بوزارة الاسكان والمرافق باللور الرابع من المبنى
٥٢ شارع عبد الخالق ثروت ، فى بداية الشهر
الاول لم يعرف له رأس من قدم : كان يجرى مع
حاجة العمل «سهلليا» لا ضابط له ولا رابط ..
يوما فى المستخدمين .. وأسبوعا فى الارشيف ..
وآخر فى الاستعلامات ، وما أن بلغ عم «زيد»
صراف الخزينة سن المعاش حتى سلموه الخزينة ،
وقد يكون لكلام السيد مبارك والسيد سعد مراد
دخل .. ودخل كبير فى اعفائه من الخزنة
ومسئولية الخزنة فيما بعد وقيامه بعمله الحالى
كميقاتى لحضور الموظفين وانصرافهم ومدون خطابات
الصادر والوارد ..

الايام - فقط - علمت عباس دندراوى أن عمله الحالى لا يقل
مسئولية عن عمله السابق كصراف للخزنة .. وعلمته أيضا أن
السيد مبارك وسعد مراد لم يكونا حريصين على مصلحته يوم

قالا : «عباس بن حلال وطيب ومستجد خدمة .. الى يمسك الخزنة
يا مفقود يا مولود .. ماترموش النار من حجركم على حجر غيركم،
قطعا لم يكن الحرص دافعهما - ففي اليوم التالي لاستلام مبارك
الخنزة . وقف فكرى أفندى لحظة بعد أن وقع امضاء حضوره -
قدم اليمنى ساقيه وأخر اليسرى وفتح فمه وأغلقه وارتجف جسده
جميعه مقلقا النظارة فوق عينيه .. أسندها بكلتا يديه ومضى
مهرولا نحو مكتبه بإدارة المستخدمين دون أن ينطق بحرف ، ونى
موعد الانصراف وقع فكرى افندى وتمهل قليلا قبل ان يمضى ..
كان أكثر ثباتا منه فى الصباح .. كلماته فقط التى سقطت من
بين أسنانه المتهشمة فتهشمت :

- « هوه عباس أفندى .. قصدى .. يعنى .. حياخذ مواصلة
.. والا يعنى .. »

كانت حجة لفكرى ليكلم عباس . وعباس يعرف أنها دعوة
لوليمة كلامية فى بطن السيد فكرى .. والحقيقة أن عباس كان تواقا
لصلة صداقة تربطه بواحد من موظفى المصلحة . والحق أيضا أنه
ما كان ليرضى بفكرى هذا الواحد .. ولكنه لزم الحرص والحرص
كاملا عندما رد على فكرى :

- ح اركب م العتبة .

مشيا جنبا الى جنب وبدا فكرى يومها ضئيلا كنملة .. قصيرا
كفرقع لوز بجوار عباس الفاره القامة .. المفرهد الصدر ، ضحك
فكرى بلا سبب وعاجل عباس :

- « اسمح لى انتة ريفى يا أستاذ عباس .. ريفى خالص .. »

لم ينتظره ليرد أو يسترد دهشته . هجم هجوم الفجأة وانطلق
يصب مدفعيته بلا توقف .

- يا راجل يدوك الخزنة تسيبها .. اللقمة فى بقك ترميها
للكلاب تتعارك عليها .. وآخرتها تقع فى بق مبارك .. ياراجل والله
الريفى ما يعمل عملتك .. مبارك ده جزمة قديمة .. سواء هوه
أو سعد مراد ..

وكمن لمح شبه احتجاج فاندفع ليكتمه :

- حتقول ايه ؟ .. انتة تسكت .. انتة تعرف ايه فى
المصلحة ؟ .. ولا حاجة طبعا .. الجاهل بالسكة يسأل أهل الحى ..
والسؤال مش حرام والمعرفة مش ببلاش .. المهم .. اللى حصل
حصل وأقول لك حاسب .. الاولى براءة والتانية عترة حمار والتالته
ثابتة ..

كانا قد وصلا محطة العتبة ، وكان أتوبيس « ٥ » قد فارقتها
وتبعه « ١٥ » وهما الوحيدان اللذان يوصلان عباس لبولاق الدكرور ،
حيث يسكن المنزل ٣٥ شارع البلتاچى .. كان من الصعب عليه أن
ينتظر مع هذا الفكرى ساعة كاملة حتى يأتى أتوبيس آخر من « ٥ »
أو « ١٥ » .. فما أن لمح « ٦ » يتحرك حتى عزم فى نفسه على أن يركبه
ويهبط ميدان الدقى ويواصلها لبولاق مشيا أو يركب .. تحرك
عباس خطوتين وقطع الاتوبيس مشوارا بينما يد فكرى تشده .

- مش بقولك أنتة غشيم .

.. وضحك

بصدأ الدخان والنشأى على أسنانه المهشمة وراسب البرد
والعمر على صدره ضحك - كما صرير بوابة خربة ، تمنى عباس
لو داسه بقدمه وبغيظه وبغيظ الشمس من فوقهما وبكل ما لم يحبه
فى عمره .

- امبارح كنا فى قهوة الامرا بالسيدة زينب .. أنا وسعد

ومبارك وهلال أفندي بتاع الاوقاف .. الى فى صندوق مبارك كشفه
سعد مراد .. قال لمبارك : « بأه اسمع أنا مش عباس .. اضحك
على غيرى أنا سعد مراد .. فاهم .. حرص على نفسك .. والله
مارحمك يا مبارك .. الى له مليم فوق المرتب ياخده . أنا بقولك
أهه .. اشترى طوابع بوستة .. دلوقتى المتغطى بان .. فوق
مرتب كل موظف مليم اتنين أربعة .. الصراف مايديش تعريفه
ويجب العجز عنده .. الى بيحصل كلنا بنسامح .. فى الآخر المليم
يبقى قرش .. جنيه .. ثلاثة .. مرتب ع المرتب .. فهمت يا ..

وضحك ..

كالظن .. كالشك .. كلعبة الوسواس الخناس .. يرقد فى
الداخل ويتقلب ويتمطى .. فيصبح للكلام وجهان وللنية الحسنة
طريقان وللوظيفة عمل بأجر لا حساب فيه لمشوار رجوع عباس
وانتظاره بمحطة العتبة - وبعدها - حشر .. عرق .. رائحة أفواه
تنتظر غسل الخبث بلقمة الغداء ، لا أجر للدور الارضى بشقة الحاج
محمود درويش أجره على عباس ومن مرتبه .. خمسة جنيهات كاملات
من اثني عشر جنيها وستمائة مليم لا غير .. من المرتب الواحد ،
فقد رفض عباس الريفى خالص .. الغشيم ألف مرة مرتبا فوق
المرتب ، مرتبا ثانيا تركه لمبارك يوم ترك الخزنة .. وترك له
ما علمته الايام الآتيات ..

قال عباس للحاج درويش :

- لو حد من الشارع رفع رجله يدخل الشقة .. عايز حديد

للشبابيك ، رد الحاج :

- أقفل الشباك ياسيدى ..

- الدنيا حر

- الشتا ع الباب

- ما هو الصيف برضه جاي ..

- لما ييجي الصيف أشتري لك مروحة على حسابي .

- مش ح أدفع الايجار ..

- أطرديك

- القانون ويايا

- نشوف ..

وشاف عباس .. لم يدفع الايجار ثلاثة شهور فجاء « حجز التحفظ وبعده أمر الطرد » .. وتدخل أبناء الحلال أخيرا ففض الخلاف وأخذ درويش الايجار ومصاريف المحامي ورسوم المحكمة وأتعاب المحضر .

أخذ الحاج درويش صاحب البيت ايجاره - بعد أن أخذ عباس طريقه « للسيد مبارك » صراف الخزانة مارا بالسيد « فكرى » واسطة الخير بينهما .

تكلم فكرى فى البداية متلجلجا .. شرح الأزمة وأكد للسيد مبارك أنه لا أمل الا عنده ، سكت مبارك ولكنه كان عمليا ، قال دون أن ينظر لفكرى :

- يلزمك كام .. ؟

- ستة وعشرين جنيه ..

كالنائم أو المفكر قال مبارك : « أحنا فى شهر تسعة يبقى باقى كام على شهر سبعة ، هيه .. تسع شهور .. لا عشرة ونبتدى السنة المالية الجديدة .. انتة ويايا يا عباس أفندى ؟ عشر شهور

في ثلاثة جنيهه ٠٠ ستة وعشرين جنيهه تاخذهم يا عباس افندى
النهارده تردهم بعد عشر شهور بواقع ثلاثة جنيهه كل شهر - دول
م السلفة يا عباس افندى يعنى الواحد لو انكشف يا رب أستر
٠٠ استبيننا ٠٠

ورد عباس :

- استبيننا ٠٠ استبيننا ٠٠ استبيننا ٠٠

قالها لنفسه ألف مرة كالورد بعد الصلاة • كأنها الهزيمة
أبدا - كأنها صلاة الدوام ٠٠ كأنه لا حل الا أن يقتل نفسه أو
يقتل الآخر أو يعاجله الموت فيموت وتموت « استبيننا » معه ٠٠
ولكن عباس يريد حل دنيا ٠٠ يريد حلا سريعا لأنه قاتل ومقتول
وميت من سبع سنوات ، عندما ترك الحزنة لمبارك غير عالم بأن
الحزنة مرتبا فوق المرتب لانه غشيم وريفى خالص ، وأخيرا
« استبيننا » ، قاتل ومقتول وميت من سبع سنوات عندما رضى بهذا
الجحر الأرضى بالمبنى « ٣٥ » شارع البلتاجى ملك الحاج محمود
درويش الذى لا يثيره التلويح بالثوب الأحمر •

- والقانون ويايا •

- نشوف •

عباس قاتل ومقتول وميت من سبع سنوات يوم جاء لياخذ
مكانه كثامنة كتابية بالمبنى « ٥٢ » شارع عبد الحالى ثروت بوزارة
الاسكان والمرافق ، يوم مشى مع فكرى حتى محطة العتبة ، يوم
ضحك فكرى كالظن كالشك كالوسواس الحناس ٠٠ وسكن داخله
متمددا على راحته ، يتمطى ويتشاب ويتقلب على البراح عالما بكل
سر حالا لكل اشكال •

- - مالك ؟
- - صاحب البيت
- - ماله ؟
- - الايجار يا عباس أفندى
- - والتخفيض يا حاج درويش
- - ارتضينا بيه يا بنى دا القانون
- - يعنى عايز أربعة جنيه وعشرة صاغ
- - والميه يا عباس أفندى .. نسيت
- - عليك يا حاج
- - فى الوسع بس يا بنى .. فى العقد مافيش حاجة من دى
- - مش ح أدفع
- - والقانون
- - ويايا
- - نشوف
- - ويشوف عباس فكرى .. ويرد فكرى :
- - تسكن جديد تدفع خلو وياريت تلاقى .. قولها يا عباس
- • قول : استبيننا
- • ويقولها عباس :
- - استبيننا

ولكن عباس يريد حلا سريعا . حل دنيا - سيقول لفكرى:

- أنت تسكن داخلى ولم تدفع خلوا ولا تدفع ايجارا وأنا
أطردك والقانون معى ، لن أحتاج لك فى مرورى للخزنة حيث
مبارك . مبارك عملى يعرف أنه لا وسيط ، قالها دون أن ينظر
اليك : « عايز كام ؟ » . الايجار سيدفع شهريا للحاج درويش
دون تأخير حتى لا يكون هناك مبارك « واستبيننا » . والحاج
درويش صاحب بيت ومع القانون ، ولكنه يؤجر بمقتضى مبلغ
معين مقدما رضى به الطرفان الشقة الأرضية بالمبنى ٣٥ لعباس
دندراوى الموظف بالاسكان والمرافق .

لهذا يحق لعباس دندراوى بعد سبع سنوات أن يقذف
بالحل سريعا فى وجه العالم .

- يا شارع البلتاجى بسكانك جميعا . أنت حر فى أن
تقذف بماء الاستحمام فى الخامسة تماما من صباح كل جمعة وكل
اثنين - ولكن يوم الجمعة أجازتى الأسبوعية ومن حقى أن أنام لأى
وقت أشاء . والقانون معى - ويوم الاثنين يوم عمل ، وعملى فى
الثامنة تماما ولكن قبل أى موظف كميقاتى لحضور الموظفين - ولكن
ليس فى الخامسة صباحا يا سكان شارع البلتاجى - أنا لا أدين
أحدا منكم فالقانون معكم وبمأذونه تم زواجكم شرعيا - أريدكم
شهودى يا سكان شارع البلتاجى على هذا المدعى محمود درويش
صاحب البيت ٣٥ . يصحو فى الخامسة مدعيا أنه نداء الفجر من
مسجد الحى . ولكن ما ذنبى أنا فى أن يهبط درويش السلالم
فيدق بحذائه الدرجات . لا ذنب لى وليتأكل النعل . أن
يدفع درويش بالمفتاح فى القفل فى حركة سريعة فجائية محدثا
فرقة شبه مكتومة وان كانت قوتها عشر زجاجات كوكاكولا تفتح
مرة واحدة وفى نفس اللحظة . ما ذنبى والأمر لا يكلف درويش

سوى قطرات من الزيت على القفل والمفتاح .. ما ذنبي في أن درويش أعمى البصر والبصيرة يخطو العتبة ويرفع قدمه ويدوس يوميا على كلبه النائم أمام بيته فيعوى الكلب ويصرخ هو : احرص نقضت وضوئي يانجس .. داهية تاخذك .. ما ذنبي في أن لا يحرص الكلب ولا يدوس درويش .. أنتم شهودى يا سكان شارع البلتاجى فهذا « قلق » براحة السكان والقانون معى وسيركع أمامى درويش ويصلى فى محرابى ويقولها كما قلت له طوال سبع سنوات : « استبيننا » .

- وأنت يا مبنى الاسكان والمرافق الكائن بالدور الرابع من المبنى ٥٢ عبد الخالق ثروت .. أمن ححك على عباس دندراوى ثامنة كتابية غير ساعات تبدأ من الثامنة صباحا حتى الثانية ظهرا .

لكن عباس دندراوى يصحو فى الخامسة ، اسمعوا لستم أذكيا .. ادفعوا له ايجار المسكن وسيسكن فى أهدأ حى الا وهو حى « الزمالك » مطلقا شارع البلتاجى .. كما أن العمل يا ٥٢ عبد الخالق ثروت ينتهى فى الثانية الا أن عباس دندراوى يخرج بعد آخر موظف بالضبط فى الثانية والثالث وهذا من صميم عمله كميقاتى انصراف الموظفين .. غير أنه يقطع المسافة من مكان العمل الى محطة العتبة حيث يركب « ٥ » أو « ١٥ » فى عشر دقائق عندما لا يكون هناك فكرى .. يضاف اليها ساعة كاملة عندما يكون هناك فلوس وفى حالة الانتظار أيضا - عند العجز عن حشر النفس مع العرق ورائحة الأفواه والحبث الذى لم تغسله لقمة الغداء .. بهذا يأخذ عباس دندراوى حقه حيث لا حاجة لمبارك مرورا بفكرى وبالخزنة وبمرتبها الذى فوق المرتب .

وكما يسير النائم أو المفكر .. سار مسيرته الكبرى صبيحة يوم الجمعة الموافق ٤ ديسمبر ووجهته قسم ثان جيزة .. وقلبه

يرجف بهواجس السعد والنحس فى يوم الجمعة • دخل على الضابط النوبتجى وقال له :

- أنا القاتل •

نظر الضابط لعسكرى بشريطتين وقال له :

- أكتب ، وقال :

- وياك أمانات •• ؟

ووضع على مكتب الضابط خمسة عشر قرشا ونصف ، وكتب الشرطى من واقع البطاقة الشخصية :

الاسم : عباس دندراوى •• الحالة الاجتماعية : أعزب •• السن : ٣١ سنة •• العمل : موظف كتابى بالاسكان والمرافق ٥٢ عبد الخالق ثروت •• السكن : ٣٥ شارع البلتاجى ••

وكتب الشرطى من (س) الضابط و (ج) عباس :

- لم قتلته ؟

- كان مشاكسا •• كان طوال سبع سنوات يلوح براية العصيان ويقول « القانون معى » •• وعندما ينهزم - يركع ويصلى ويتمتم بالورد « استبيننا » •• ولانى لا أطيق الكلمة قتلتها فقتلته •

- الشهود ؟

- سكان شارع البلتاجى وعبد الخالق ثروت •

- أسماء ؟

- الحاج محمود درويش •• السيد فكرى •• السيد مبارك •• وربما السيد سعد مراد •

- اسم القتل ؟

- عباس دندراوى •

معطف من الجلد

كان المطر مازال يسقط .. وكان أقل حدة مما كان ، وكان الجو ممتلئا بالرطوبة تماما وكذلك كان باطن الأرض ، وكانت السحب الدكناء تعد بالمزيد ، كنت قد ابتسمت .. فتسللت قطرات من الماء كانت على وجهي الى شفتي : أحسست بجسمي كله «متشيئا» بالرطوبة والملح .

كانت أضواء المدينة تبدو من بعيد - في الظلمة - كنجوم هاوية بين الأرض والسماء المنطبقتين كنت أضرب أسفلت الشارع المبتل بخطوات سريعة .. وكنت أتابعها .. وكانت تعود : بدقات المطر والماء الهارب الى البالوعات ، كان الشارع خاليا .. فالمطر لم ينقطع منذ الصباح .

كنت قد بلغت سدة الشارع : كان هناك - أمام البوابة المغلقة - ثلاثة أشخاص ، وبدأ لي الذراع الأحمر الممتد بعلامة الخطر .. كما لو كان معلقا ومتدليا من السماء ، وبدأت لي المسافة بين السماء والأرض قريبة جدا - وهكذا كانت تبدو لي دائما في الليالي المظلمة حيث المطر .

كان واحد من الأشخاص الثلاثة قد استدار - تاركا زمياليه أمام البوابة المغلقة - وانسل من بين الأعمدة المنتصبة على الخط الحديدي ، وكانت هناك صرخة تحذره - وكنت قد تبعته - فتهدمت الصرخة الى ضحكة مرة ، كنا قد نفذنا من الجانب الآخر فجلبت

ضحكات الرجلين أمام البوابة ، كان القطار قد مر فتحوّلت الضحكات الى مزق - وكنت قد اصطدمت بظهر الرجل - فاعتذرت له : وباعدت بين وجهي وبين التفاتته السريعة ، كنت قد هبطت المنحدر - ومن خلفي كان الرجل ينتظر زميليه - وضربت في الأرض الخلوية الواسعة : كانت الأرض مجدورة بمئات الحفر : التي تحوّلت الى برك صغيرة من الوحل ٠٠٠٠

كانت الساعات الباقية من الليل كافية ليصل القطار الى مدينة « الأقصر » - ومنها الى « قرية الكرنك » : نصف ساعة « بالحنطور » وثلاثة أرباع الساعة بالقدم ، كنت قد سميتها « ايثاكا » . وكنت أسمى بيتنا (قصر الشتاء) ، وهناك في (قصر الشتاء) كان العجوز ينهي صلاة العشاء عجولا لينام - ربما كان « الآن » يصرخ كالعادة في اخوتي الستة : ناموا ٠٠ لتأخذكم الدواهي ٠٠ « انتم ستة والواحد منكم يفلق بلد » في خطابه الأخير - قال انني أخلط : هم ثمانية - ثمانية الولد رمضان ، والبنت ؟ وكان علي - أنا - أن أسمىها ، وقال : الملعونة تبكي دائما ، ربما كانت تبكي - الآن - وربما كانت نائمة (للصغيرة - قطعة اللحم الحمراء - يا جامع السحب ٠٠ الحليب ٠٠ لاحل عندك المعزة و أمي) - هكذا - لكن ربما كان الآن يعرف كل شيء ٠٠٠٠ (انهم يقلبون عليك الدنيا : أترك هذا المكان وابحث عن مكان آخر - كان صديقي (خليل) وكنا نسكن سويا ، وكنت أحبه - قال : انهم هم - لا هو - وأن اليوم الأحد ، ونطق بالأب « جابون » و « بالأحد الدامي » ٠٠ وقال : أترك هذا المكان فورا ، قلت لماذا ؟ قال : انه الجنون - وأن الأرض تدور وأننا في ١٩٦٦ ، وكنت أعرف ، وقال : نحن الذين نطعم الجواد وتحت الحافر يسقط البشر وقال : نحن نصنع المأساة ، وتحدث عن البورصة والنقابة والسلعة والقنبلة والمعسكرات والعمل - ولعن السياسة وتكلم عن الكرملين والرايخ ، وذكر البيت الأبيض

والحمائم البيضاء والحريات والأناشيد التي يهبها ديكرت الفرنسي
مجانا ، وكنت قد صرخت فيه .. لماذا ؟ وقال : انه لا يدري ، وقال :
ان العربة لا تسقط مطلقا في المنحدر وكنت أرتعش ، وقال : هي
فترة بالسجن .. ولن أقتل ، وقلت : لست خائفا ، وقال : هل
تفكر في .. ونطق بالأوليمبية ؟ - وكان يقصد تلك التي أحبها ،
وقلت : لا - وكنت في حضنه - وقال : اننى خائف فلماذا أنكر ..

كنت قد مسحت الطين العالق بحدائى - والباقي تلك
الارتعاشة بأطرافى وبالداخل ، وكنت قد دققت الباب وجاءت حركة
من الداخل ثم سكنت - فعادت الدق ، أدت ظهري للباب :
أمسك بقليل من الشجاعة - وحتى لا يفاجأ .. كان المطر قد كف
- الآن - وكان ظلى يرتعش وهو يسبح - هناك - متكسرا فى حفر
الوحد الصغيرة وكان مصباح الشارع البعيد يمد له جبلا واهيا من
الضوء .

عندما فتح الباب - لم يصدق أنه - أنا ، كان وجهه مليئا
بالدهشة ، سحبني للداخل ، كنت ألث بين ذراعيه العملاقين
وصدره « الأخيلي » الهائل ، أطلقني وهو ينشج : ازيك يا ...
وتنبه الى باب الحجرتين المفتوحتين - فوارب باب احدهما - سألتني :
قلت شوقى ، ضمنى من جديد فى غلظة : مش معقول .. الواحد
فى حلم - قالها بفخامة ووجهه يظفر بالبهجة ، كانت لحظة مناسبة
لأطلق دموعى بلا خجل ، قال وهو يحيطنى بذراعيه وكأننى ابنه :
ولا يهملك شدة وتزول .. أقعد - وأشار الى كنية بالصالة .

كنت متشبثا بالأرض - بقدمى - وقد ضمنت فخدى ، كان
الباب - الذى واربه - قد اتسعت فتحته قليلا .. وكان الضوء
الأحمر يزحف بظلاله - مع ضوء الصالة - هناك فى الحجره الأخرى
المفتوحة : تعلقت بساق الطفل - النائم - العارية لأهرب من عينييه ،

عندما وضع يده على فخذي تأرجحت الصورة التي بأعلى الباب ،
عندما نظرت اليها من جديد كانت ثابتة ، سألته : نابليون ، لم
أكن أطلب الجواب - فقط كنت أود لو أمسك بطرف الخيط ، أجب:
لا .. ده بتهوفن لكن ازاي هربت ؟ طبعا تعرف ما حدث « لفلان »
و « فلان » لقد سألوا عنك ؟ وضحك مشيرا : أن للحائط اذنا ..
وأن الظرف ... وقلت : أعرف ، وقال : ازاي هربت ؟ قال -
وقد صمت : والله راجل ، رددت وقد انتابني زهو : انهم يبحثون
عنى فى كل مكان .. بالصعيد .. فى العاصمة .. بالمقاهى ..
سألوا كل معارفى ، قال وقد انتفض قائما : أعملك شاي - ورجع
بعد أن مشى خطوتين - أنت أكلت ، صمت ، قال : هنا فى البيت
مفيش أكل .. ح أخرج أجيب من بره ، قلت : لا ، قال : لكن ..
قلت : لا .. هات سيجارة ، كان قد توجه الى المطبخ ليصنع الشاي
- بعد أن أشعل لى السيجارة .

كنت أنظر الى لسان الضوء الأحمر وهو يلحق ساق الطفل
العارية - عندما اختفى فجأة - وسمعت خطو أقدام عائدة وجسم
يتكسر على السرير فى الحجرة الأخرى (الشقة من حجرتين : حجرة
له ولزوجته وحجرة للأولاد .. يمكننى أن أنام مع الأولاد ،) كنت
أنام وثلاثة من اخوتى الكبار على سرير واحد .. وكانت البقية تنام
مع العجوزين على سرير واحد .. ولكن العجوز يصر فى خطابه
الأخير على انهم : ثمانية .. ثمانية) .

جاء صوته الغليظ من المطبخ مصطدما بالمطبخ وبالسقف
وبصمت الليل والأرضية والأثاث واطمئناني النقى : على فكرة هنا
فيه قراقيش ، لم أرد ، لقد قابلنى فى احتفال رغم أن صلتى به
ليست بالوثيقة ، لقد قال لى أكثر من مرة اننى يجب أن أزوره فى
بيته ، وعدته أكثر من مرة ولم أذهب ، فى كل مرة كان يقابلنى

كنت أتذكر مواعده ، كان يعاتبني ويؤكد لي اننى يجب ان أزوره فى بيته ، اليوم : جئت بالعنوان الذى كان قد أعطانيه أكثر من مرة ٠٠ وجدته مصادفة وأنا أحرق بقية من أوراق كانت معى ، كان طيبا فى مقابلته ومحتفلا ، كان كما قال عنه صديقى الذى عرفنى به : محمد شهم ٠٠ فلاح بما تحوى الكلمة - كان صديقى يقول هذا وعينه لا تفارق الوشم المنقوش على صدغ محمد - قال صديقى : ان محمد من عائلة ريفية ضاربة فى الأرض ٠٠ وان مظهره قليل من مخبره ٠٠ وأنه شهم - هذا ما يهم - قد أبقى عنده لمدة أسبوع حتى أفكر أو أجد مكانا آخر - ستكون درجة الجنون الذى يطاردنى قد هبطت قليلا - محمد شهم - حتى - لم يسألنى كيف عرفت البيت بمفردى ٠

كان قد جاء بالشاى وسألنى : تشرب ميه ، قلت : شكرا ، قال : يا سلام أين كنت عندما ، قلت : حيث لا مكان ، قهقه فى ضجيج : حيث لا تاريخ ٠٠ لا ٠٠ ، قاطعته : ممكن أفضل عندك أسبوع ، قال وقد ابتسم ابتسامة عريضة : ممكن ، أعطانى سيجارة وأشعلها وأشعل لنفسه واحدة أيضا ، كنا وكأنا فرغنا من الكلام تماما - أنا وهو - : الصمت ورشقات الشاى ونفثات الدخان ، بعد لحظة - قام وتوجه الى الحجرة المفتوحة : أمسك بالغطاء ولفه حول الساق العارية ، قال - وكان قد قفل باب الحجرة وعاد : الولد الكبير يلم الغطاء عليه ويعرى أخوه الصغير ٠ وده حال كل يوم ياسيدى - وصمت - بس تعرف يا ٠٠ شوقى أنى مراقب ، قلت وقد توقفت عن شرب الشاى : لم ؟ وقال : لا أعرف ٠٠ ممكن ٠٠ انما الأولاد ٠٠ شىء صعب والله ، قلت : سأبحث عن مكان آخر ٠٠ كنت أنظر الى الوشم الأخضر على صدغه وكأننى أتعلق به ، وكان هو - ينظر الى الصورة المعلقة فوق الباب - ضحك - وقال : يا راجل ازاي تخلط بين نابليون وبتهوفن ، كنت قد فرغت من نصف كوب

الشاي ، قمت ٠٠ قال : أشوفك ٠ قلت : طبعا كنا أمام الباب -
وكان راغبا في أن أكسر - أنا - هذا الحجل الذي يمنعه من أن
يحتضني ، مد يده - كنت قد مددت يدي ، قال - وكان ظهري له :
مع السلامة ، كانت السماء قد شدت قوسها وأطلقت تجاهي سهمي
من نار ، تراجع فاصطدمت بضلفة الباب المقفلة ، تنحى بجسمه
الهائل عن الضلفة الأخرى - وقال : أدخل ٠٠ قلت وأنا أداري
خوفي بالضحك : دائما ٠٠ دائما ٠٠ منذ كنت صغيرا وأنا أخاف
البرق ، قال : ادخل وانتظر ٠٠ كنت قد شدت ياقة « الجاكيت »
إلى أعلى - قلت : انه من الجلد وخصيصا للمطر ٠

حصار طر و ادة



كنا صباح الأحد ، وكنت حزينا ، وكانت الصحف - الثلاث
- ترحب بمقدم الربيع ، وكانت الاذاعة المصرية تنشد تقرير
مصلحة الأرصاد الجوية : « الجو اليوم رائق .. اليوم السماء صحو
اليوم الشمس مشرقة ، عموما الطقس جميل » ، ألا أننى .. لقد
فاجأنى الخنزير - قلت - وكنت أقصد الحزن لا الربيع ، ورأسى
تحت الصنبور كنت أحدثه (الحزن طبعاً) : « عنى الى الجحيم ..
عنى .. سنوات وأنا أجالد (مع الماء المتساقط من رأسى بالوسخ
أختلطت دموعى - كنت أبكى) ، وأنا فى الشارع - أوقفت شخصا
كان يمشى بسرعة : سرعة من هذا النوع الذى يجعلك تنحنى
كعيدان القمح التى تريد أن تحمى سنا بلها من الريح الداهمة
المتوجهة (بأمر أرتميس طبعاً) نحو السفن الأثينية المتوجهة بدورها
الى طروادة وهيلين (كان أجامنون قد ذبح افجيناً بالطبع) ، أوقفت
الشخص وأفهمته أن ليس معى كبريت وطلبت سينجارتة المشتعلة
لأشعل سينجارتى ، وقلت له وقد ابتسم : أمامك أمر مهم ؟ قال :
بالطبع .. وأشار الى دار سينما قريبة من المكان : أمامها طابور
هائل من الراغبين فى فيلم «الصقر» ، الصقر : قصة كتبت بالدم
والنار على رمال الصحراء .. أختيرت له قلعة منيعة بوسط
الصحراء يحيط بها عشرات من مصورى السينما وآلاف من
الفرسان) ، وقال انه لا مانع من أن يصطحبنى ، وقلت له ان
حزنى من هذا النوع الذى لا يحتمل التراجيديات ، وأفهمنى
بطريقة ساحرة (طريقة يجيدها معلنو الاذاعات التجارية .. كان
« أسبرو صديقك » .. « الواحدة والنصف ودقيقتين حسب ساعتى
ماركة تيتوس ») ، أفهمنى أن الفيلم كوميدى وأنه بطولته
« فؤاد المهندس » (ممثل مصرى هزلى شهير : مثل ٣/٤ أفلام القطاع

الخاص و $\frac{1}{4}$ أفلام القطاع العام ، والمجموع واحد صحيح وتحسب هكذا : $\frac{3}{4} + \frac{1}{4} = 1$) ، وقلت له : الآن - لا مانع عندي ولكنى أفضل الهرم (كنت أقصد تلك المساحة الصحراوية الهائلة التى تسكنها أهرامات خوفو وخفرع ومنقرع الثلاثة) ، وضع يده ثم لفنى بذراعه وقال : أستريو الهرم ٠٠ طبعاً تقصد ؟ ، ولاحظ رجومى فسألنى : ألك صديقة ؟ ، قلت : بالطبع ٠٠ ، قال : أنت صديقى ، وتوجه الى محل قريب وأدار قرص التليفون : كان يتحدث ويضحك ويضحك ويضحك - ثم طلب منى أن أحادث صديقتى ، أدت قرص التليفون واتصلت بها وقالت : أنه لا مانع عندها وستأتى حالا ، ودفعت لصاحب المحل العجوز ثمن مكالمتى ومكالمة صديقى ، وقال الرجل العجوز ان صديقى تكلم مدتين ، ووجدت صديقى يمسك بعنق العجوز ويكاد يزهقه ، أفلتها فوجدت العجوز يمسك بعنقى : كنت أغوص فى تيار من الراحة تحت قبضتيه ، ولكنه ضايقنى وأشعل معدتى برائحة فمه الكريهة ، خلصت نفسى منه بمعاونة شاب (من النوع الذى يعلق شنطة رياضية مرسوم عليها مضربين متقاطعين أو صورة للملاكم العالمى « كلاى » أو أى شىء من هذا القبيل) ، دفعت ثمن ثلاث مكالمات وتوجهت الى محطة الاتوبيس ووجدت صديقى هناك وبصحبتة فتاة سمراء عقصت شعرها من الوسط وأخلته سائبا للخلف كذيل الحصان ، كنت غاضبا (غضب من هذا النوع الذى حدثنا عنه هوميروس عندما طلب من ربات الشعر أن يلهمنه التغنى بغضبة ابن بيلوس الذى ترك المعركة الطروادية الشهيرة وبصحبتة فرسان المورميدون بسبب وقاحة أجا ممنون قائد الجيوش) كان يضحك وكنت غاضبا وقال وهو يقدمنى لها : صديقى ، قالت بلهجة ساحرة « آن شانتيه » ، (نفس الطريقة التى استخدمتها الممثلة الايطالية « صوفيا لورين » فى فيلم - نسيت اسمه كما نسيت الموقف أيضا - ولكنى متأكد

أن « صوفيا » لم تكن تلوك « اللبان » (لا أعتقد أن غضبي كان سينطفىء (خصوصا وأن صديقي نحيف جدا) لولا اهتمامي الشديد بنظرات من يحيطون بنا (قطعاً سحرتهم الطريقة التي تقف وتلبس وتتحدث بها فتاة صديقي « صوفيا لورين ») ، بعد لحظة جاءت صديقتي وركبنا الأتوبيس ، تم التعارف بسرعة ، ووجدت غضبي يتلاشى الا أن حزني الثقيل ظل ثقيلا (لأن عمره عشر سنوات) ، ووجدتني أعاتب صديقي بطريقة لطيفة عما حدث وعن تركه لي وعما . . ولكنه أخذ يضحك ويضحك ويضحك وضحكت الفتاتان (وهذا ما أغاظني) ، ووجدته يقف فجأة ويصرخ في وجهي اننى لقيط وأنه يعرف كل شيء وأننى ابن فلان بالتبنى . . وهكذا ، وهكذا ووجدتني أفضل الانسحاب على البقاء معه (رغم أن اليوم مشرق وجميل وصالح للنزهة بصحبة الأصدقاء) ، وقلت لفتاتي : سأنزل فى المحطة القادمة ، وقالت : أنه لطيف وأنه يشبه فؤاد المهندس وأننى فاقد لـ « هيومرسنس » - وكانت تعنى أننى لا أتحلى بخلق كوميدى ، وقلت لها : أننى حزين - حزن من هذا النوع الثقيل . . عمره الآن عشر سنوات ، وقلت : فاجأنى هذا الصباح (الحزن المفاجيء مرض عصرى يعرفه المثقف عندما يصطدم وعيه بشروط التاريخ فيصرخ : « هذا سجن . . هذه محكمة . . انه جبل المشنقة . . هو الشارع ، أنا مفصول من عملى - يقولون : اننى قاتل . . اننى سارق . . اننى . . هؤلاء غرباء لم أقابلهم قط ، مولاى الشيخ وسيدى القس - لكنها الحياة الوحيدة الممكنة ، انتهى الأمر . . انهم على حق . . لقد كانت حياتى ، والمسئول هذه الطريقة التى أفكر بها . . يمكننى أن أكون حزينا) قالت : أنه لم يخطيء وأن الطقس بديع والجو مشرق وجميل وأنا ذاهبون الى استريو الهرم بصحبة الأصدقاء ، قلت لها اننى أعرف مكانا أفضل وأناسا أفضل ، واننى حلمت بالأمس أننى : (كنت أجلس فوق ذؤابة « جبل ايدا » وكنت

تجلسين فوق ذؤابة جبل « بيرجاموس » وحملت « أرتميس » ربة
الرياح حديثنا وأعطتنا نسائم عطرية فالتقيننا تحت صفصافة « زوس »
الشهيرة ، وكنت تلبسين ثوب باليه طرزته « أثينا » ذات العينين
النجلاوين ، وظللنا نرقص على أنغام « أبولون » وكان « بوسيدون »
رب البحر يقذف بالحصى والأحجار من البشر تحت أقدامنا) : بشر
من هذا النوع - وأشارت الى شبيهه فؤاد المهندس ، وقالت : انها
تفضل استريو الهرم ، ولم أجد مفرا من أن أعلن غضبي وأقف
مخليا مكاني معلنا أنني سأهبط : المحطة القادمة ، وحاول الشخص
الذي جلس مكاني أن يتدخل في الأمر ويصلح ما بيننا ، وقالت له
وهي تبتسم : اننى أركب رأسى دائما ٠٠٠ ودائما انا عنيد ، وقالت
انها سيئة البخت ، ووجدت الشاب يضع يده على كتفها ويلطفها
لتكف عن البكاء ، ونظر الى وأفهمنى أنني حيوان ، وما هكذا تعامل
بنات الناس وأنى لست « جنتلمان » وأنى أيضا جاهل (كان
يقصد أن الطقس رائع والشمس صحو واليوم جميل وربما الريح
مواتية) ، والحقيقة لقد فاضت نفسى ، ولم أعد أحتمل (لو كان
الشاب ضئيل الجسم لمزقته) وقررت أن أهبط : المحطة التالية
مباشرة ، (كانت قد فاتتني ثلاث محطات بسبب اقناع صديقتي
وسماعى لكلام الشاب الرقيق) ، كان الأتوبيس قد توقف وحاولت
أن أخلص نفسى من الوسط ولم أفجح - كنت قد تزحزحت حتى
أصبحت قريبا من الباب ولكن الأتوبيس تابع سيره فقررت أن
أهبط المحطة التالية مباشرة، وعندما توقف الأتوبيس حاولت الهبوط
وزاد أملى عندما وجدت شخصا هائل الجسم يدفعنى :الى أمام
- لكن : ناس كثيرون ركبوا من هذه المحطة مما جعل الشاب الهائل
يدفعنى بشدة الى جانب ويهبط ، وسمعت ضحكة الأربعة من الحلف
(مؤكدا أن فؤاد المهندس قال نكتة) ، صاروا ستة ٠٠ سبعة ٠٠
كان كل من فى الأتوبيس يشاركون بالضحك ٠٠ ضحك ٠٠ ضحك،

(جيوش أثينا تزحف ، والحالد يرعد من فوق أوليمبيوس ، والبحر
ينظف نفسه : أندرو ماك حزينة ٠٠٠ بنيلوبي تنتظر ، سهم باريس
جميل طروادة - في كعب أخيل ، وسهم أخيل - أثينا - في صدر
هكتور - طروادة ، وسيف هكتور يحتضن المجيد - درع أثينا -
ابن تيلامون ، سقطت عشرة أعوام ٠٠ سقطت طروادة - ها هي
المشاعل تقول يا تليماخوس الصغير ، وعشر سنوات للعودة
يا أوليس : ايثاكا جميلة ٠٠ ايثاكا بعيدة ٠٠ ايثا ٠٠) ، كنت
أضغط نفسي لأبكي ، ووجدتني أغرق - أنا الحزين - في الضحك .

الثلاث ورقات

١ - الولد

- كانت تظن أن ملابسها ..

أغلق الترانزستور وتشاغل بقضم أظافره ، خالس الرجل ونظر اليها : كانت .. ضغط الأصبع فهب صوت المذيع :

- رياح شمالية شرقية تصحبها موجة باردة تستمر .

لم معطفه في عجل وتابع السماع .

- اسبرو صديقك .. اسبرو رفيقك ، دس يده في جيب

معطفه وتحسس .. ومع كلمات المعلق انفرجت أساريه .

- الرشع .. الزكام .. نزلات البرد .. احذر عدوك ..

باستعمال اسب ..

لم تكن بالعربة نافذة مفتوحة - أغلقها حال ركوبه بالشيش والقزاز ، ما بينهما - ما بين الشيش والقزاز - تسلل الخارج :

رجال تروح .. رجال تجيء .. يخلفون البصمات .. الابد لاصق

بأرضية العربة والكراسي . وأعمدة نور قائمة كالرجال على طول

الطريق : تلوح بالأذرع فينفر في العروق الدم ، الأحمر يلهب

الثور ، والريح يلهبه الدم النافر في عروق الرجال .

وما بين الشيش والقزاز تمتد أذرعهم .. تطاردها ريح الشر
فتنفر العروق ويظفر الدم .. ويهوى المضرب فتنتفش أكوام القطن
- ليصبح كل شيء واضحا - عيون للقطن .. وذرات للهواء ...
وبصمات بيضاء ميته على الكراسي وأرضية العربة - ليبدو الكل
واضحا - الزيت للطبخ والعلف لثيران الرجال .

في محطة قنا توقف القطار وركب الرجل - قبله بما تحت
اللحظة - ركبت المرأة وركب معها آخر، لم ينتظر القطار كثيرا - سلم
عليها مرافقها وفتح النافذة بعجل وسقط في الخارج .

- يمكن تكون معاه عيشة .. قولى لعبد النبى مشتاقين ..

• اوعى •

غاب صوته وأغلقت هى الشباك بالشيش والقزاز ، وجلست
« مصرية » قبالتة ، ما أذهل « رجاء عمر هاشم » وجود الآخر ،
متى .. كيف ؟ .. ما لا يدريه ، ما يعرفه انه ركب قطار الشلال
من محطة الأقصر ، ركب القطار واختار مكانه ولم يكن بالعربة غيره ،
في محطة قنا توقف القطار .. وركبت امرأة ، كان معها آخر
رذهب .. ذهب تاركا شوقه لعيشة وعبد النبى - معرفا رجاء عمر
هاشم لمصرية .. ذهب تاركا مصرية لرجاء ، لم يكن بالعربة سواه ،
ما يدري ، وما كان حقيقة ، ما كان بالحالم .. هذا الرجل السمين
القصير لم يكن موجودا ، ووجود هذا الرجل السمين القصير قلب
كل شيء ، ورغم انه لا شيء هناك - الا أن وجود هذا السمين القصير
ليس بالريح ، عيون مطفأة فيها شيء - أى شيء - ربما تاجر غلال
ساعة جيب مدلاة على حائط صدره ، عباءة امبريال أصلى - هكذا
يسمونها فى ريف الصعيد - وبهذا يعرفون مرتاح الحال ، وكما
يقولون : جاك الشوم .. كالغيمة . كالمصيبة ، كالغائمة كان
الرجل ، لم ينطق بكلمة .. بحرف والجائز والممكن .. انه لم ينطق

فى حىاته كلمه واحده - كما لم يناغ طفلا وان داعب شاربه - وتلك
قد تكون مهمته الأبدية ، رجل غامض كالسر ، خالس مؤلفه البوليسى
وربما قتله - بضربة ساحقة من قدمه تطايرت ضلفتا الكتاب ثم
تباعدتا فى صرير مخيف .. وانفتح باب القلعة .. واندفعت ريح
نتنة خبيثة عملاقة قذفت بالرجل الى هنا : واحد من رجال شيكاغو
لولا ملامح مصرية وعباءة نفضها والتف بها متمددا بطول المقعد مستندا
الى فخذه كالكتاب المصرى القديم . قد يكون متخفيا ، كما قد
لا تقوم لظنون « رجاء عمر هاشم » قائمة . عندما يسقط القناع
يظهر الرجل ، قد لا تكون له بالمرأة صلة - عند هذه اللحظة يراها
رجاء ويغرس عيونه فى تقاطيع مصرية ويفتش عن شىء - أى شىء
يمتص هذا الفراغ: صدأ النحاس وصداه يولولان بالفراغ فى الفراغ
وتتلوى روحه ويمتلئ المنخر . ينحنى ويطبق على ما بين الكتف والعنق
ويفرغ أنفاسه ويلقى بما فى منخره .. وينشق ريح المرأة ، ريحا
منداة مخلوطة بالعرق ، للأنثى .. لكلهن ريح منداة مخلوطة بالعرق ،
طعمه لغز لم يحل بعد .. طعم لم يذقه .. غير الذى ذاق فى الكتب ،
بلا زعاق معلن ولا مساومة بائع ولا دورات عشر حول سور الأزبكية
- الجنس بلا أستاذ يفنده - من غير دفع ولا تقدم - سيتقدم -
ينحنى ويغرس شفثيه ما بين الكتف والعنق .. ويتدفق الدم حارا
.. وتولول المرأة .. ويصحو الرجل ، يهب كالشيطان : دراكيولا
أيها الملعون ، يمد ذراعه ويجمع حقل ثوم فى حزمة - يسحق ما بين
كفين كحجر الطاحون .. حقل ثوم ، ويدفسهما ما بين فتحتى المنخر
.. وينتفض جسد رجاء وتفارقه الروح .. و .. سعل الرجل .
فانتفض رجاء .. ردت اليه روحه . لم ينظر الى الرجل السمين
القصير وما كان يجرؤ - كفاه أن روحه لم تفارق جسده ، يكفيه
أن يسترد أنفاسه . تمنى لو أدار الراديو . وانطلق محلقا فى
سموات الست « ثومة » سابحا فى البعيد .. بعيدا عن الوجود ..

عن الأرض والناس وكل ما هو حي (طويل أو قصير) ٠٠ يبكى
وينهه على صدر الحنان ٠٠ على ألا يفرط في عينيه - فبهما - يرى
تيتى ٠٠ ولتيتى يعيش ٠ كفاء ستة شهور عاشها بعيدا عنها ٠
اقتلع من القاهرة قلب الحياة لينزرع في الصعيد كملاحظ عمل ٠٠
ستة شهور كان فيها كالنبات الشوكى ٠٠ جذر قصير ولا ثمر ٠
ملاحظ عمل بمصلحة الآثار ٠ بلغة المصلحة «سواق أنفار» ٠ رجال
بعدد الحصى ٠٠ يرفعون الهراوات ويضربون الأرض ٠٠ يحملون
حفنات تراب من مكان لآخر ٠٠ فقط حفنات تراب وهذى مهمتهم
٠٠ يلقيها الرجل منهم وهو يلهث ٠ بعد مشوار وآخر يغافله
ويستلقى تحت ظل - ينشطر صدره الى نصفين ويلهث ٠٠ ينهره
رجاء فينوح كامرأة ٠٠ ويشكو حيث لا مبرر للشكوى ٠

- أصلى تعبان يابيه ٠٠ والله تعبان ٠٠ بلاش تخصص من اليومية
٠٠ أبوس رجلك ٠٠ دول ثلاثة وأمهم ٠٠ جبل فى رقبتي ٠
رجال حالهم هكذا لا يساقون ، ليسوا فى حاجة لمن يسوفهم ،
ليسوا شيئا يفرض على رجاء كعمل ، يؤتى به من القاهرة للصعيد
ليسوق هؤلاء ، عمل رجاء ليس بعمل ، لا قيمة فيه ستة شهور ،
يا للقسوة يا للسفلة ، لم يفعل شرا فى مخلوق ٠٠ حتى هؤلاء ٠٠
لم يفعل شرا ليفرشوا له ثمانى ساعات بينه وبين القاهرة ٠٠ ثمانى
ساعات كاملة عليه أن يقضيها فى قطار الشلال مع هذا الرجل السر
وهذه المرأة ليصل الى تيتى - كما قضى ستة شهور فى لا عمل ٠٠
يصحو فى السادسة صباحا ٠٠

يتناول افطاره فى استراحة المصلحة مع المهندس ومفتش
الآثار ، بعدها - يتم على الأنفار ٠٠ أيام ويركب المهندس والمفتش
العربة ويهبطان البر الغربى ، يبقيان لما بعد الظهر ، حسب طول

الفترة التي يغيبانها أو قصرها .. يرجع هو ويأخذ حقه من النوم، ومع الأنفار يترك « أحمد أبو مجاهد » هذا الأحمد أبو مجاهد كان يظنه غيبا ، ما أن يدير له ظهره حتى يجمع العمال حوله ويفغى بصوت قبيح وبالكره يسمعون .

(بقه انتة يا زناتى عملت ع القوم فارس . حولت بر تونس خرايب . خلاص رجعت لك أنا أبو زيد) لم يتركه مرة مع الأنفار الا وبدأ من هنا وانتهى من هنا . كانوا يسمعون غصبا فهو الذى يملك وحده قسرهم على العمل من بعده . ضربه مرة بالقلم فأحنى راسه فى خزى .. وطعم هذا الخزى كان يحسه رجاء عندما يذهب المفتش والمهندس بالعربة الى الأقصر - يقضيان الليل فى « ونتر بالاس » ويأتيان آخر الليل . المفتش الشيخ يستند على ذراع زوجته الشابة وزوجته الشابة تستند على ذراع المهندس الشاب . ولليل ستائر وحرمة «الله أعلم بما تحجب الجدران» كانت زوجة المفتش بطة برية .. تطير هنا وهناك وتطير العقل . حتى عقل رجاء طار وتمنى لو تسبح فى بركته . نسى تيتى وأهمل نساء كتبه تمنى لو مثلا معا هو وهى فلم « الوسادة الحالية » .. أو (خذنى بعارى) - لكنها كانت شيئا آخر - حتى غير تيتى - غير تيتى بكثير . جهود الكوافير وحدها تستحق مرتب والد تيتى فى مصلحة البريد . كان وحده مع الأنفار . تيتى بالقاهرة وهى فى الجنينة على كرسى منامه - بنظارة وستان بلا أكمام ومجلة فرنسية - على جبينها فراشات . وهو وحده مع رجال كأعواد الكبريت . يستندون تحت ظل ويلهثون تنشطر صدورهم الى نصفين ويلهثون .. عندما ينهر رجاء واحدا منهم يبكى كامرأة . ينوح ويشكو حيث لا مبرر للشكوى . رجال كهؤلاء لا يساقون .. رجال كهؤلاء لا نساء معهم . حتما فالنساء يعبدن الرجال والعافية .. من هنا لم ينظر رجاء لامرأة من حریم هؤلاء .. ومن الجائز أنه لو طلب منهم - من الجائز فهو قادر -

لكن رجالا كهؤلاء لا نساء معهم . اما أن تكون مع امرأة وبينه وبين
القاهرة ساعات يحركها قطار الشلال . . أن تكون مع امرأة وعربة
بلا ركاب - الا - هذا - ثالثهم - الغامض كالزوج - كالمجهول
الحالد .

سبح بعينيه في العربة متجنباً نظرات الرجل - جاهداً ألا يظن
به نيات حسنة أو خبيثة في العثور على المرأة . فوقه : لمبات خابية
تهتز مع القطار . . ضوء أفرغ فيه الطبيب محقن الدم ، على الكراسي
والأرضية : أصابع بيضاء ميتة بصمها الخارج متسللاً من الشيش
والقزاز ، حاول فتح شفتيه فأغلقهما الجفاف . . أطبقهما فتعثرتا في
الجفاف ، الداخل قرضته أسراب الجراد ، لا أخضر ولا يابس ،
الراديو : لا أمل . . (كانت تظن . . ملبسها كانت بيضاء تظن . .
أومو . . تايد . . ساعة تيتوس . . اسبرو يقتل الصداع) . .
(هاء . . هاء . . هاء . . ويضحك الولد . . يستلقى على ظهره ،
يلوك الأب كلماته . . يهرسها جيداً ويخرجها ممطوطة . . هع . .
هع . . هع . . مالك يله ، يرد الولد : البدلة الجديدة ياأبا البدلة
الشعبية ، يضحك الأب ويهرش بطنه . . رأسه : الافين هيه ياله؟)
ويقوم المتفرجون جميعهم ليذهبوا لشركة بيع المصنوعات ، ويقفل
صاحب المقهى التليفزيون - هو حر . . ملكه - كل حر فيما يملك ،
رجاء حر في أن يقفل الراديو - ولكن الراديو يتكلم والمذيع لا يسكت
والشاشة لا تنطفئ والتليفزيون يشع - والمسئول هذا الجالس
قبالته - الرجل الغامض كالسر : غرس داخله بالمزراق وسال كل
شيء واختلط . . تركه تائها حائراً في داخله . . لداخله ، بعد
لحظة سيجن : يصرخ . . يزعق بعلو الحس . . ليس معقولا أن
يجالس شانون ويأكل مع (الهارب من الأيام) ويتناول شريحة لحم
من عظم دجاجة خلفها (عويس أبو ضب) - ليس معقولا - ألا يلين
هذا الرجل قسماته ، سيصرخ فيه رجاء . . يصرخ في الفراغ . .

ينحنى للرجل ٠٠ يقبل قدميه ٠٠ يركع تحتها (أرجوك ٠٠ من
فضلك ٠٠ تكلم ٠٠ ابصق ٠٠ انطق ٠٠ كالمذيع تماما ٠٠ ليس
مثله ٠٠ لم أقصد ٠٠ أعنى ٠٠ اياك اياه ٠٠ انت هو ٠٠ هو
انت ٠)

٢ - (الشايب)

وقفوا بينه وبين ابنه (كالسد) الذى يسمونه (مركز قنا)
وأقسموا جميعا على (المصحف) انه ضرورى وضرورى جدا وجود
(مركز) بين (البندر) و (العاصمة) - لكنهم لا يفهمون ٠٠
يعرفون فقط - لهذا وقفوا فى وجه (القطار) الذاهب الى
(العاصمة) حيث ابنه (محمود) .

- ابعث له جواب يا أخى .

- بلدياته وياه فى السكن .

- يعنى لو كان هناك مشغولية ٠٠ بقليله واحد منهم يبعث

جواب .

- نعم (عبد الصابر) و (الهادى النوالى) و (محمود الساكت)
و (عبد الحكيم الرقاص) لا يفهمون ٠٠ فقط يعرفون ٠٠ كلامهم
يقول ذلك ٠٠ والرجل كلمة ، هو لا ينكر أنهم يعرفون البيضة كما
يعرفون الحجر ، كما يعرفون أيضا اللعب بالبيضة والحجر - لكنهم
لا يفهمون ان الابن أيضا بيضة وحجر - كما هو لعبة أبيه ، الابن
بيضة «كاكا» لها الرحم ٠٠ قال الرحم «كاك» فمشت الحرارة كالدّم
الذى هو ماء فى جوف العيدان ٠٠ اشتعلت النار وغلا الماء واستوت
البيضة - لها الأب بين جوانحه وأعطاها دفء حياته ففقسست الكتكوت .

والحق لقد كان ابنه « محمود » فى صغره كتكوتا .. يمشى
بقدمين ، ويضرب بجناحين ويصوصو فى « الآه » و « الهيه » ..
- ماليش دعوة عايز بنطلون .. مفيش فلوس لكن عايز
بنطلون .

- بابا جاب بنطلون هيه .. هيه .. هيه .

كلهم يعرفون - القرية كلها تعرف أن « مجاهد أبو دراع »
علم ابنه فى مدارس « البندر » - أعطى ابنه الأرض - مع بداية كل
عام كان يعطى ابنه فدانا - لم يبيع أرضه ولكنه أعطاها لابنه -
أعطاه العمر ليتعلم ، كانت السنة تمر على الأرض لتعطى المحصول -
وكان « مجاهد أبو دراع » ينتظر المحصول ليعطى ابنه سنة جديدة ،
وبجهود « مجاهد أبو دراع » (يعيش ابنه « محمود » الآن فى
العاصمة ليأخذ « الشهادة الكبيرة » . بعد الشهادة الكبيرة فقط
يواصل ابنه الحياة .. وقد تتوقف ومؤكد ستتوقف حياة « مجاهد
أبو دراع » - ويبقى محمود ابنه ليبحث عن البيضة .. ويخرج
الكتكوت : بقدمين بجناحين بلون النجمة بلون الأرض بلون النيل
بلون الغيمة - كما يفهم (محمود) سيكون « ابن محمود » ..
تماما كما يفهم « محمود » لكن « محمود » ابن « مجاهد أبو دراع »
مازال يسير فى طريق الفهم - وللفهم دروب - وقد اختار « مجاهد »
لابنه درب « الشهادة الكبيرة » وأمام « محمود » عامان كاملان
ليصل الى نهاية الدرب ويفتح الباب ويدخل الدار فيكاكى الاولاد .

- بابا جه .. بابا جاب .. بابا عاد .

عامان كاملان - لا أحد فى القرية يعرف انها عامان كاملان -
لا أحد غيره يفهم أنه سيعطى فدائين ... لكل عام فدان .. لا أحد
يفهم أنه يجاهد ليعطى ابنه عامين . فدائين .. فالفدان عام والعام

فدان • لو قال هذا لقالوا «مجنون» لو عرفوا أنها نهايته وأنه يجاهد
ليموت ويعيش ابنه... لتفقس البيضة ويكاكى الكتكوت... لكسروا
البيضة ورموه بالحجر وصرخوا بالطول والعرض : مجنون...
مورستان • خانكة •

– ابعت جواب له ياأخى •

– بلدياته وياه فى السكن •

– لو كان فيه مشغولية كان واحد منهم بعت جواب •

لقد أعطوا لمجاهد « الحجر فى يده – لكنهم لا يفهمون – كسر
كل منهم بيضته – لكنهم لا يفهمون ، سيضربهم بالحجر الذى
أعطوه ويصرخ بالطول والعرض (• مجانين • مورستانات •
خانكة) •

– ولدى « محمود » ماء ودم • خمسة وعشرون سنة •
ماء ودم • كتكوت فى بطن البيضة فى رحم الفرخة • فقس بين
ضلوعى منذ خمس وعشرين سنة • كان بقدمين بجناحين وأصبح
بجهدى رجلا بعد عامين سيقول الكلمة – الكلمة رجل • الآن فقط
نبت له ما ينبت للرجال وما ينبت فى قدم السائر من نشع الأرض
وشوك « الهلوك » • فى الجفاف طفولة الرجل – صباحه الذى طلعت
شمسه منذ لحظة – تتبعها لحظات • دقائق • ساعات • يوم •
سنة • خطوة فى الطريق الى باب الدار ويكاكى الأولاد (بابا جاب
بطيخة • البطيخة طلعت حمرة • بابا ادانى شريحة • الشريحة
طلعت حلوة • • هيه هيه •)

خمس وعشرون عاما • قضى فى البندر عشرة أعوام وفى
العاصمة ثلاثة – والباقي اثنان • تلتاشر سنة بتلتاشر فدان •

ولكى يقابل ابنه لابد من أن يسير « مجاهد » تلتاشر سنة .
تلتاشر فدان - وتكون المقابلة - بعد أن يفور الدم والماء تحت النار
فتتشقق القدم . ومن الشق يبرز « الهلوك » صلب الأشواك .
من صدر « محمود » يبرز شعر الرجل وينغرز في صدر « مجاهد »
أبو دراع » ومن ذقن ابنه من عرضها وطولها الذي هو خمس
وعشرون سنة يبرز (الرجل) وتسرى الحرارة في الأعواد وتلتهم
النار المحصول - ويفور الماء ويفور الدم ، هنا فقط سيظمن
« مجاهد » على ابنه محمود - عندما يتنفس ابنه (الحرارة والماء
والدم) - سيفهم أن ابنه (حى) لم يمت ، سياتأكد انه لم يبع
(تلتاشر فدان) .

وليتهم يفهمون - ولكنهم يعرفون فقط - أبدا لن يفهموا أن
السنة فدان وأن الفدان سنة والبيضة كتكوت والولد كتكوت .
ويقسم « مجاهد أبو دراع » أن أهالى « بندر قنا » مركز
قنا . محافظة قنا ، يعرفون فقط ولا يفهمون - لذلك فهم (مجانين
. مورستانات . خاتكة) يعرفون البيضة والحجر ويلعبون أيضا
بالبيضة والحجر .

٣ - (البنت)

- فى بنى سويف تلاقية منتظر ك .
عبد النبى مستنظر . فى الايد جبل وفى العب سكين ،
اليوم . يجى والساعة تجرى ، والقمرة تطل وتغيب ، والعجلات
تدور وتنشال وتنحط . وتنشال بلاد وتنحط ، والقطر يا مصرية
يشيلك من قنا ويرميكى فى بنى سويف . يرمىكى للظن
(لعبد النبى) ، أخوكى ، ابن أمك وأبو كى منتظر ك : زى الوعد .

كلمة البلد جواه ، اللى ما يساوى كلمته فى عب عبد النبي ..
وعين عبد النبي فى التراب وفى التراب حكايته وعلى التراب خطاوى
الناس .

– والحرام حد قده .

– الستر يا رب .

والقطر شايل تراب قنا فى عجله .. والتراب على كتفك
وريحته جواكى .

– يمكن تكون معاه عيشه .

يمكن ويمكن .. يا رب .. يا عبد .. قلبك يا عبد ع العبد
هين .. وأنا مصرية بنت أم مصرية عبدتك يا عيشه .. الستر
يا عيشه .. أخ يا عيشه لو طمس المسطور قلبك .. وعملتى وودن
من طين وودن من عجين .. لو قفلتى قلبك بمليون ضبة وألف
مفتاح » .

– قولى لعبد النبي مشتاقين .

« وأنا مشتاقه لعبد النبي .. اخويا مشتاقه له .. ومشتاقه
لعيشه .. مشتاقه لكم تنهشونى وترموا العيب من جواى .. ارتاح
.. ترتاحوا .. مش ابنى .. دا كلمة الناس فى عبي .. كلمة
بتجرى جوايا » (مالت الشفايف على الودان وهمست .. وشوش
الزرع بعضه .. ونزل الليل .. البلد كلها طرحة مسودة وكلمة
سودة .. البنات سبلوا رموشهم .. والرجال صبغوا عمايمهم) .

– والحرام حد كده

– الستر ع الولايا يارب .

- واحنا مالنا .. كل غراب ينق على خراب عشه ..

« .. ح احميك .. اقفل ودني ولا اسمع .. نن عيني انت ..
ضنايا حبيبي .. أصونك في بطني وتكبر مع كلمتهم .. وتشق
بطني وتطلع .. يقابلك الليل الأسود والكلمة السوداء (الانس
نايم والجن صاحي - قدام باب الدار عوى الكلب .. اتكوم ع الفرش
.. جنبي .. عوى .. قلت : لا .. لا .. لا .. قفل ودنه وخرس لساني
.. زام .. وزام الكلب بره الدار .. زام وهمد .. وهمدت أنا ..
عيني في الأرض ، وعلى الأرض دمعتين .. وعلى الحد دمعتين ..
شهر .. الثاني .. الثالث .. واسودت الكلمة .. رميت اللقمة ..
(حتة بسبوسة) .. غصب عنى اديت البراح .. عايزاك يا ضنايا
.. لو عشت تعيش .. لكن للحيطان ودان .. والنجم « فتان » ..
والكلمة ياخذها البق ويسلمها « لبق » والنجم سيار يجرى مع القطر
ويقول لعبد النبي :

- من قنا جاتك مصرية .. وفي بنى سويف انتظرها ..
انتظرها يا عبد النبي بالحبل والسكين ، وتعالى يا بنى سويف ..
مشتاقه لأخويا .. مشتاقه ..

امضاء : المؤلف

ليل الشتاء



• - الصبح رباح يا سيد •

شد عليه الغطاء وفتح من تحته :

• - حاضر ياما •• حاضر •

أزاحت عن قدميها حرام الصوف وأبعدت «نوال» عن ركبتيها •
بكت البنت فضربتها ببطن يدها :

• - سد •• ولا النونو يعمل عمايلك •• شوفى البنات اللى فى

•• سنك

قامت •• تحاملت وقامت ، واقتربت من سرير ابنها - أزاحت

عن رأسه الغطاء وقبلته •

• - الصبح رباح يا حبيبي •

• زام - فقبلته من جديد •

• - الصبح رباح •

لم تفعلها طيلة الخمس سنوات الماضية ، كانت تقضى كل
حوائجها فى النهار ، وعندما تغرب الشمس تجلس على سريرها ،
تلف قدميها بنصف الغطاء ، تحكى « لنعمة » « حدوتة » •• تقدم
ركبتها « لنوال » فتنام عليها •• عندما يأتى أبو سيد فى أخريات
الليل كانت تكلمه من تحت الغطاء :

• - الأكل عندك فى « النملية » ان كان ساقع سخنه •

تعودت وتعودوا بلا شكوى ولا كلمة سوء •• « الروماتيزم »

• عذرها وكفاها أوجاعه •

لم يجبرها أحد على القيام لتقبل « سيد » ولتكرر له ما قالته على فراشها - لكنها - أدري بابنها من كل الدنيا .. من كل الناس . التسعة شهور بين الضلوع ورضاع البز وغطام الحمص المعجون بالزبد وأعوامه التلتاشر كلها لم تغير منه شيئا ، لم تجعل منه صورة لأمه ، الكل يعلم بأنها : ناقة .. صبور .. حمالة حمول .. سماعة أسية ، سيد شيء وهى شيء آخر ، غاوى نكد وتعب قلب وراسه أنشف م الحجر .

هذا ما أكده زوجها أكثر من مرة :

- يا ستي أنا غريب عن البلد دى .. لا أهل ولا أحباب ..
ولدك لازم يعرف كده أنا مش قد حد .. بلاش أصرخ يا ولية ..
العله منك .. والطب عندك .

العله منها والطب عندها - هى أدري بابنها من كل الدنيا ..
دماغه ناشفة .. ولا بد من أن تلين ، وهى تعرف أن قبلتها لن تحول رأسه الى « أصبع ملبن » .

كما أن المشوار القصير من سريرها الى سرير « سيد » سيظل قصيرا الى الأبد . رغم أنه طويل بسبب « الروماتيزم » وبحكم خمس سنوات من العادة - قصير وقصير جدا فى رأس سيد . رغم علمه بأنها تبذل فى نهارها الكثير من أجل تدفئة قدميها ، تجلس على السطح وتسند ظهرها على الجدار القصير .. تمدد قدميها وتفركهما بيديها وتنتقل مع الشمس كاسحة الدوار بمقعدها ، كل هذا تطحنه دماغ « سيد » وتعجنه وتخبز منه كلمة كل يوم (بتعبى الشمس فى قزايز) .

زمان كان صغيرا ، عركت أذنه :

- واد .. اياك أسمع منك الكلام دا تانى .

عندما شب أفهمته بانها أمه :

— احترم سن أمك وعياها يا « سيد » .

(اليوم .. فى الصباح) .. كانت الشمس موردة الحد ، غابت ثلاثة أيام وجاءت موردة الحد ، فى الشتاء : كثيرا ما تغيب الشمس وتعود . لكنها فى كل مرة على ما رأيت « زبيدة » — هذا الصباح — لم تكن بمثل هذه العافية ، كانت الشمس أنثى شابة نضرة كما لم تر « زبيدة » تلك الأنوثة وهذا الشباب وهذه النضرة . مرة واحدة فى عمرها .. مرة فى الأربعين عاما (منذ عشرين سنة فائتة . انطلقت فى بيتهم زغروته غمزت أختها الكبرى بعينها .. جرت « زبيدة » . أغلقت باب حجرتها . كانوا يتحدثون فى الخارج : « بيشتغل عسكري فى البندر » . فتحت الصندوق « أبو عروسة » وقبلت ما ببطنه : مناديل الرأس .. القماش المورد .. زجاجات الريحه .. أطباق الصينى ، وتناولت المرأة : كان وجهها فى حمرة شمس الصباح . كانت فرحة بمجىء العريس — عريس الميرى — مرتب حكومى لحم وخضار وشحم يغطى عودها النحيل .. كان نخجل — فهى بنت وأختها غمزت .. كان كل شيء .. هذا وذاك كان على وجهها وعلى المرأة .. كان كل شيء .. هذا وذاك فى قلبها وعلى خد الشمس هذا الصباح) .

رجعت الكثير زمان بحلوه ومره ، عبت الكثير بقلبها وقدميها ، غرفت من الماضى حفنات شباب وسعادة وحرارة أحستها فى قدميها وساقها وقلبها .

ضحكت بهذا وذاك وكل شيء وقامت ، هى أدري بابنها من كل الدنيا ، لكى لا يطحن ويعجن ويخبز « سيد » كلام ليس بكلام كل يوم ، ليظل كلام كل يوم هو كلام كل يوم فما عادت تهتم .

لكن - سيظل المشوار بين سريرها وسرير « سيد » قصيرا
قصيرا جدا . هذا وذاك وكل شيء سيطحنه ويعجنه ويخبزه « سيد »
ليطعمها قلقا وعدم راحة . « لازم أعرف لازم يامه » ولد لحوج . وهي
تعرف ابنها من دون الناس . لا بد أن يعرف . . لا بد أن تتعب هي
- تقلق . . تطلع . . تنزل . . لكي يعرف ، ولكنها لا تعرف . .
ولن يرحمها ويعفيها ما لا تعرفه من أن يعرف ، ما يريد أن يعرفه . .
لا تعرفه ولا يهتمها أن تعرفه .

(منذ عشرين عاما انطلقت في بيتهم زغروته . . غمزت أختها
. . جرن . . توردت خدودها لأنها بنت . . لأن أختها غمزت . .
لأنها فرحت به . . بأبيه - عسكري في البندر - مرتب حكومي . .
لحم وخضار وسمنه تغطي جسمها النحيل . . لا تعرف أكثر من هذا
ولا تريد) حتى عندما أصبح أبوه . . بشريط . . باثنين . . بثلاثة
. . ببدلة صول . . لم تعرف ولا تريد حتى بعدما لم يأت الخضار
واللحم . . لم تعرف ولا تريد . . لا تريد رغم أنها مازالت نحيلة
بلا شحم ولا لحم . . ورغم هذا وذاك وكل شيء . . رغم أنها لا تعرف
ولا تريد . . كان أبوه يصرخ لم يرفع يده عليها طوال المعاشرة ولكنه
كان يصرخ « يا ستي أنا غريب عن البلد دي . . لا أهل ولا أحباب
. . ولدك لازم يعرف كده . . أنا مش قد حد . . مش قد حد . .
بلاش أصرخ يا ولية العلة منك . . والطب عندك » ، لم تعرف مبررا
لصراخ زوجها . ابنها ولد ككل الأولاد ، يلعب ويخايق ويصاحب
وليس في هذا عيب .

و . . و « سيد » يعرف أن أباه قال هذا الكلام لانه . . لانه
مشغول بعمله ولا يقابله . . لانه يأتي بعد أن ينام « سيد » .
و « سيد » يعرف أن كلام أبوه له وليس لأمه ويعرف أن أمه لم
تقل له كلام أبيه الذي هو له وليس لها . و « سيد » يعرف أن أباه

يحل عقدة العقد لكل من هب ودب - ولكنه - لا يقدر على حل مشاكل
ابنه مع أهل البلد ، فهو « غريب عن البلد دي .. مش قد حد ..
مش قد حد .. »

من هنا يريد « سيد » أن يعرف ، ومنها يريد أن يعرف . وهي
لا تعرف ولا تريد .. لا تعرف لماذا أبوه « مش قد حد » ، ولا تعرف
لماذا يخاف منه الناس في البندر ولا يخافون منه في « البلد دي »
الا أنه « مش البلد دي ؟؟ » .

(منذ عشرين سنة - يوم جاء - لعلت في بيتهم « زغروتة »
.. غمزت أختها .. قالوا : بيشتغل عسكري في البندر ..
الأساس من « اسنا » .. اسنا .. ؟؟ .. لم تسأل أين هي ..
لا تعرف ولا تريد ، جاء « عريس » .. ما تعرف وما تريد . كانت
بنتا وجاء عريس .. خضار ولحم وشحم يغطى جسمها النحيل .
ما تعرف وما تريد ..

كان زوجها يسافر ويأتى في نفس اليوم ، منذ زواجهما ..
سافر مرة .. اثنين .. ثلاثا على الكثير - لكنه - كان يأتى في
نفس اليوم . المشوار ل « اسنا » قصير .. زوجها يأتى في نفس
اليوم . كانت تعرف انه يذهب لبلده « اسنا » لأهله . فلكل الناس
أهل . لم تطلب منه مرة أن يأخذها معه وتأتى في نفس اليوم ،
المشوار قصير .. لم تسأله عن بلده وأهله . فهي تعرف أن ماتعرفه
لا تسأل فيه .. بلدها « الكرنك » ففيه أهلها . وبلده « اسنا »
وفيه أهله والمشوار بين البلدين لا يكلف أكثر من يوم . يزار فيه
الأهل والأحباب لكنها لا تريد .

شكا أبو سيد .. صرخ .. زعق :

- أخوكى فاكر نفسه ابن عرب .. دا فلاح حتى مايسوا ..

هو مش عارف انه من (البحاروة) يعنى وساخة الضفر . . فهميه
يا ستنى . . فهميه عشان ما يرفعش عينه لحاجبه . . فهميه .

كان زوجها تائرا . وكذلك كان أخوها . كان نهارا أغبر
وكانت حائرة . فهمي تعرف ان هذا زوجها وذاك أخوها ، ولا أهمية
عندها فى أن تعرف أسباب الخناق .

تحمس « سيد » لوالده - لولاها - لطال لسان الابن وفرى
لحم خاله . شدته من قفاه وضربته على بطن كفه :

- واد . . الواحد بخاله وأبوه . . اخرس قطع لسانك .

(اليوم) . . كبر « سيد » وقال ان الحق مع خاله وان كان
خالى م « البحاروة » ف ده مش العيب كله . . العيب كله عنده
هوه . . فيه يامه .

عند أبيه . كبر الولد ويريد أن يعرف . . لا شىء يمنعه . .
لا ضرب على بطن يده . . ولا اخرس . . ولا شىء سوى أن يعرف .

معها الليل طويل . . تحضن . . « الحرام » الصوف وتفكر :
ليل الشتاء طويل لكن له صباحا . صباح له شمس تهب قدميها
الدفء . صباح غد ، لا ككل صباح . . صباح بشمس وكلمة لا بد
أن تقال ليعرف ، «سيد» يريد أن يعرف ، وهى تريد الدفء . .
كلاهما يريد الشمس والصباح . و « سيد » نائم ومنتظر ومتأكد
. . ويريد ، مع الشمس لا بد أن يعرف - وهو يعرف - ولكنه منها
يريد أن يعرف . وهى لا تريد الغد . . ولا الدفء بالغد . .
ولا الشمس بالغد - ولو جاء الغد بكنوز سليمان لرفسته بقدميها .
فلا شىء يعدل راحة البال وغمضة العين . راحة البال وغمضة العين
فى ليل الشتاء بالدنيا وما فيها ، رغم هذا وهذا . . . ليل

الشتاء • فليل الشتاء طويل •• طويل •• طويل •• لكن - بعده
صباحا •

في الصباح تطلع الشمس •• تؤذن الديوك •• يأتي الدفء
فيتسلل الى قدميها •• تفركهما فتدب فيهما الحياة - تدب الحياة
في كل بيت فيتسلل الأولاد •• مع الأولاد « سيد » ولد ككل
الأولاد •• يلعب •• يخانق •• يصاحب •• وليس في هذا عيب •
العيب يراه الأولاد •• ويراه « سيد » فهو ولد ككل الأولاد •

- العيب مش في خالي ياما •• (البحاروة) ماينعابوش ••
دول بس أغراب •• غربة مش م البلد انما أصلا •• الغربة مش
عيب ياما •• العيب ف •• في أبويا •• أنا عايز أعرف •• عايز
•• صحيح •• صحيح ياما العيب فيه ؟ ، لو طال الليل ؟ لو
طال وأكل الصباح وكل صباح لما عرف سيد •• لما جاء الدفء
ليتسلل الى قدميها والى كل البيوت ليتسلل الأولاد وتتسلل المتاعب
الى قلبها ، ما هربت منه طيلة حياتها •• تكوم •• تكوم •• ورسب
على قلبها صقيعا لم تعرضه لحرارة النقاش مع زوجها أو أى
واحد آخر ، ست بيت في بيتها •• تحمى نفسها من كلمة هنا أو
كلمة هناك •• ما تعرفه انهم أولادها وفي العين « سيد ونعمة
ونوال » •• وما تريده هو زوجها والبيت والأولاد •• لكن عليها أن
تعرف فوق ما تعرف وتريد فوق ما تريد لأن ابنها يريد أن يعرف
ما هربت منه طيلة عمرها •

(منذ عشرين سنة - لعلمت في بيوتهم زغروته •• غمزت
أختها •• جرت ودخلت حجرتها •• كان وجهها في حمرة شمس
الصباح •• كانت فرحة بعريسها (العسكرى) عريس الميرى الذى
سيحمل اللحم والحضار وسيغطى جسدها الضامر بأطنان الشحم
•• كانت خجلة فهي بنت واختها غمزت ، كان كل شىء - هذا

وذاك - كان على وجهها وعلى المرأة ، كانوا في الخارج يتحدثون ..
وكانت في الداخل تسمع - « بيشتغل عسكري » .

دخلت بيته ولم تسأل .. (كان يذهب لأهله في بلده
ويأتي في نفس اليوم ، كان يأتي بلا خضار ولا لحم ولكنه كان يأتي
.. والأيام أتت بشريط على كتفه وب « سيد » البكر - لم تأت
بالشحم ليغطي عودها النحيل ، صمتت وصمت نال شريطا آخر
وأنجبت هي « نعمة » .. حتى البنت ولدت صامته كأهها : « ناقة
.. صبور .. حمالة حمل .. سماعة أسية » .. « لكن أخاها
لم يصمت - كان نائرا هائجا - صرخ في وجه زوجها : « عملتها
يا بتاع اسنا .. شربنا المقلب وخلص .. نا لما بمشي بطاطي دماغى
.. لا أنام العرب عشان أقيم راسى وسط الفلاحين .. ولا أنا
م الفلاحين عشان أقيم دماغى فى وسط أهلى .. » صرخ زوجها
- كان نائرا أيضا : « يعنى ايه .. أختك معاك .. عايزها خدها
.. أنا راجل فاهم نفسى .. أنا مطلعتش السما .. لا اتجوزت
عربية ولا خدت فلاحه .. كنت عارف نفسى وعارفكم .. جمسا
وبحاروة . ان كنت جمسى فأنت بحراوى فاكر نفسك ايه ؟

سكت أخوها وسكت زوجها وضربت هي « سيد » على بطن
يده : « واد .. الواحد بخاله وأبوه .. اخرس قطع لسانك . »

سكت أخوها وسكت زوجها ولكن الأولاد في الخارج لم يسكتوا
ولسان « سيد » لم يقطع ويريد أن يعرف .. فهم ان « العيب في
خاله .. ولكن العيب كله في أبوه . خاله م البحاروة . (والبحاروة
أغراب .. والغريب في الكرنك بلا أهل ولا حسب .. مرور الأيام
جمل البنات (البحراويات) فى عين رجالات العرب وأبناء الفلاحين
فكان النسب .. جرى الدم فى الدم لكن بنت العسرى حرام

ع البحر اوى والفلاح .. وبنت الفلاح حرام ع البحر اوى حلال
للعربى .. وبنت البحر اوى حلال للجميع عربيا كان أو فلاحا) .

لكن أخاها كان ثائرا صرخ فى وجه زوجها : «انته جسمى ..
جسمى .. أنا برىء منك ومن أولادك ليوم الدين .. يا راجل أطايطى
راسى وسط أهلى .. دا حرام .. ياشيخ .. روح منك لله » .

صرخ زوجها . صرخ فى وجهها وهدأ : أخوكى لازم يعرف
انه وساخة تحت الضفر .. حمار يحط عليه الفلاح بردعة ..
والعربى يركب ويهز رجله .. مش أنا منظم الكون .. لا كنت
عايزه بحر اوى .. ولا كنت عايز أكون جسمى أهلى جمسة .. وأنا
صول .. كنت عايز أكون صول .. وكنت .. »

(جاء الامام .. قرأ « الفاتحة » ووضع يد زوجها فى يد أخيها
وهدأت النفوس .. حمل الامام البطة التى سمنتها لانها حامل فى
« نوال » .. أخذ الامام البطة وجاءت نوال « ونزفت » كيزان الدم
ولم يعوضها مخلوق عن « حلة المرق » لكنها كانت راضية . لقد
وضع الامام اليد فى اليد وهدأت النفوس ..

– « تنكر أهل النبى له .. هاجر للمدينة .. وهاجر « البحاروة »
الى الكرنك . قابلوه بالدفوف فى المدينة .. وقابلت الرجال بنات
« البحاروة » بالدفوف .. حياة النبى سيرة .. المهاجرون أهله ..
وهم عرب الكرنك وأشرف قريش .. والأنصار أحبابه وهم أنصار
المدينة وفلاحو الكرنك .. حياة النبى سيرة .. جاء القوم متأخرين
– قال النبى : « جم مسا .. كانوا يسقون فى الحلاء وأدركهم المساء
.. الجمسا عرب .. عرب .. وفى الدين مبتغى الجاهل .. »

أخذ الامام البطة . وخلط السمن بالعسل .. هدأ زوجها ..
وكذلك أخوها) .

فى الصبح سيهدأ ابنها .. وتقول له :

- أبوك جمسى .. والجمسا يا ضنايا خيار الناس .. يشيلوا
الميه م النيل ويسقوا الناس .. بس لما اتأخروا ع النبي . قال :
« جم مسا » .. مكذبنى يا سيد اسأل الشيخ » .

لو قال الشيخ ما قال يوم أخذ البطة؟ .. لو لانت دماغ
« سيد » الناشفة فتسللت كلمات الشيخ؟ .. سترتاح .. سيبقى
البيت والأولاد والزوج .. سيبقى كل شىء كما كان .. كما كان
والى الأبد ..

كل ما تخشاه .. أن تخب شمس الصباح ظنونها - لكن -
ليل الشتاء طويل تحضن « حرام » الصوف وتفكر : يوم جاء - منذ
عشرين سنة - لعلت فى بيتهم زغرودة .. غمزت أختها الكبرى ،
جرت . أغلقت باب حجرتها .. كانوا يتحدثون فى الخارج .

قَابِلُ السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ

- لا يهم .. سأكله .. نقرة على بابه وأدخل ، لتكن نقرتين

ربما تضيع الأولى في دوامة الفكر ، تمام يا كمال نقرتان: ربما
الرجل غارق في الأسى حتى الأذن - الفجيعة .. الجحيم .. تطلعات
الزواحف لدنيا السماء (سيد الأندية يتمرغ بوحل الاسماعيلية -
الاسماعيلي يسحق الأهل) دقات الحقد بصدر المجهول ، لطفًا بالغد
وزحف القدر .. ما أبشع وجه الصبح .

- لك الله يا سيدى المدير واللهم لا شماتة ولكنى متعب وفى
حاجة الى راحة .. يومين راحة .. يومين يا سيادة المدير لا أكثر ،
ماذا؟ حاجة العمل لا تسمح ، حالتى أيضا لا تسمح وللعمل حاجة
لا تستقيم بمجهود .. مرهق والله العظيم (ستنز نفسك بالألم ..
تجلد) .

والعرق لازمة الجهد الوقور : عليه اللعنة ، والمندبل : أف -
نصيحة أبو المجد أفندى الباشكاتب :

- يا كمال يابنى انفض تراب الشارع قدام باب المصلحة ،
وانت طالع خده فى رجلك .

(نصيحة عمر يابنى .. مشاكلك ومعدتك لا يدخلان فى البند
الحكومى ، الموظف منا حلقة بسلسلة البند .. طرفها فى السما ،
الى ينبع يتربط بيها، والأخرس يفضل سايب وتترمى له اللقمة) .

(قرش الحكومة يا صغير لزوم القميص المكوى والجزمة الملمعة ..
كلام لودنك .. المنديل لزوم الشطارة .. أسيبك بأه لحسنين أفندى
ولعشر سنين خبرة) .

- معاك يا حسنين أفندى المنديل باليد ، وحبات العرق على
الجبين ، والملفات فوق المكتب باضافات الفهم العميق للعلاقات
الاحترامية بينك وبين رئيس القلم .. معناه شغل .. سبع سنوات
دارها أخوك الثور المعمى حول الدرجة التاسعة مع الشغل والنفاذ
وبعدها آمنت بحقيقة ... ان السجن تأديب وتعليم ، مسحت الجوخ
لثلاث سنوات فنلت الثامنة وقفزت السابعة بعلاوة .. افهم ياموظف
يا غشيم لهرس ودنك) - « تمام يا أخ عبد الستار » أذنى معك
مهروسة من حسنين أفندى .. أى نعم وألف نعم .. (نثر حبات
العرق على الجبين : فرض ، سنته وجود منديل ، سقوط نقطة على
الورق : يبطل « الصلاة » .. مامعناه ياسيدى .. نقطة على الورق تربط
حرفا بآخر ، تلضم جزءا بكل - وهذا - باطل : بشريعة القانون -
وحكمه : ارغام الحق على أن يتمسح بأعتاب المسئولية - لشهر ..
لسنة .. لعمر كامل .. والعلم عند ربي .. وما أوتينا
الا قليلا ..)

- زنهار ومليون سلام للآدمى داخلك يا عبد الستار ، لك
العقل يابو المجد أفندى .. وفهمك - عال العال .. المنديل : مشكلة
العمر ، العرق : أزمة البقاء ، نقطة عرق : تفسد عمرا وتقيم حياة؟؟
يا سلام؟؟ كم نحن مهمون .. أهمية بندوق الساعة وعقل الآدمى
والحل للأزمة ..

- صباعى فى عينك يابو المجد أفندى ، ورقة من ملف حسنين
أفندى تؤدى مهمة المنديل .. دورة السنوات العشر تساوى شيئا ،
(حالة العمل لاتسمح ، تحفظ بالملف ، البند لايسمع ، تعلي
بالأمانات)

– العرق سيجف تحت الجلد ٠٠ ست مراوح والجنة تحت أقدام المدير ٠٠ لتسقط الأهمية ومعها المنديل وورق الملفات تحت أقدام لاعبي الأهلي ٠٠ سيجف عرق رجاله بلدنا تحت الجلد ٠٠ محارة على شط النيل يا بلدنا ٠٠ قوقعة يا بيتنا ٠٠ على راسي يا بوياء ٠٠ على عيني يا اخواتي ٠

– مجهد وتعبان يا سعادة المدير ٠٠ يومين راحة ٠٠ لا دخل للعمل ٠٠ والدي مريض من سنة ٠٠ دم مضغوط ضاغط يلهب صدره ، الكلمة أوقدها ووقرها الضغط ، سابت لها مفاصل اخوتي رشاد : سقط بالاعدادية ٠٠ عبد المنعم بدبلوم التجارة ٠٠ عواطف : تزوجت من واحد في سن أبويا ، غني يا سعادة المدير ٠٠ اغني جدا ٠ رغم كده رفضته ٠٠ ويمكن عشان كده ٠٠ الاهانة من فوق لكن بحدود ، الآدمية لا تباع ، قاموس الحياة البسيطة علم أبي ما علمته السنوات العشر لحسنين أفندي – (يا بني أنا أدري بشئون البيت وأحوال الدنيا ٠٠ البنت عار ٠٠ الشرف رغيف العيش ٠ الستر واجب ٠٠ الكرامة دين ربنا وسنة نبينا ٠٠ اتنين جنيه من مرتبك توفر على أختك الجواز ٠٠ شاطر اعملها)

– شاطر يا بابا والبند أشطر ٠٠ الغربية مرار ، المرتب مستطيل حياتي وعقلي ، أنفاسي مكتومة وأحس بالاختناق ٠٠ في حاجة الى راحة ٠٠ يومين أجازة ٠٠ أشياء لا دخل لها بالعمل – بداخلي – ببيتنا – ولن أسمح لها بدخول باب المصلحة (رشاد : سقط بالاعدادي وعبد المنعم : بدبلوم التجارة وعواطف طلقت) ٠

– لا بد من أن تباع مع الأرض يا أبي ٠٠ ماذا بعد – السن والفشل والربو والضغط والطلاق ٠٠ الكذب على الطبيب لتبلغ الصغيرة سن الحلال صدق طبيب القلب أنها تعيش من يومها خمس ساعات مع كوكب الشرق ٠٠ كتب وثيقة الله ٠٠ ليحرق البيت

والأمان بكذبة ، كذابون ، عواطف : لازالت تجبو على أغنيات
عبد الحلیم حافظ ..

- يومين أجازة وسأحضر .. ماذا بعد - الربو .. الضغط ..
الفشل .. الطلاق ؟؟ .. دموع عواطف !! سأمسحها (لندن ترعى
صحة مطربنا الشاب .. دكتور شيلا للكبد ، تانر للمعدة ، هانت
للرئتين ، فرجسون للكلية ، وجونز للجهاز الهضمي) .

- هانت يا أبى بشراك .. شبابك لا تغسله سيدة الطرب
منيرة المهدي .. أراهن بقرش كلانا لا يملكه بأن حلیم سيغسل
دموع عواطف ، الزمن .. هل فهمت !! .

- لم يعد يهم .. لابد من أن يباع مع الأرض .. كلاهما لم
يعد يصلح : اخوتى تخاف مثلى يا سيادة المدير .. لا قدرة لهم على
افراز العرق - ست مراوح تغنى عن منديل وتقتل العرق تحت
الجلد !! يومين أجازة .. مرهق ولا حاجة بالعمل لى فلماذا لايسمح؟؟
السنة المالية على الأبواب ؟ .. لتدخل ؟ لتدخل معها مشكلتى الى
قلب العمل ، لتضع مبالغ بسيطة من حق بسطاء .. لا ذنب لى ..
أ أنا المسيح ، ليحملوا صليبهم .. لماذا سكتوا كل هذا العمر ؟؟
ليعلقوا المشانق .. لتسقط رأسى ولن أخسر غير تفاهات العمر :
اقرأ باسم ربك الذى خلق .. خمسة عشر مليما .. يا بلاش ..
(شهر زاد فى عنق الزجاجة) .. (من علمنى حرفا صرت له
عبدا) .. (أبو زيد الهلالي يقبل يد الزناتى خليفة) (.. شاطر
الشطار رءوف علوان يبلع الأمواس فى مؤتمر صحفى) . (الربيع
أقصر فصول السنة) .. الفصل : مائة طالب .. والسنبلة :
مائة حبة .. والحبة صنعت منها الكلمة قبة - (اعدام ترزى لانه
سهى عن صنع جيوب للبنطلون) . مس الحقيقة بطرف الحقيقة مع
التعمد لافساد الجيل الصاعد (مظلوم والله العظيم ليعدم سقراط

وكل حكماء الآخرة) لن ينجح رشاد أبدا ولا عبد المنعم ، يجبان
الشيكولاتة أكثر من الدرس ، كل طلبة المدارس هكذا كذابون ،
الكتاب بريال والقلم بخمسة قروش ، لن يروا النعمة أبدا ٠٠ رضا
الأب من رضا الرب والغضب من نفس الغضب ٠٠

- لم يعد يهم ٠٠ ليمت الآباء ٠٠ ليبيعوا ٠٠ ليرهنوا ٠٠
ليسرقوا ٠٠ وليفسحوا مكانا تحت الشمس لدلع رجالة بكرة ٠٠

- كلام ينقصه العقل - (خليك معانا يا كمال يا بنى تسند
ضعفى تراعى أخواتك، الأرض محتاجة لك ، الخير فى بطنها ودراعىك)
يا سلام ٠٠ دنيا ٠٠ ثلاث أفدنة مش شوية ٠٠ أبى سيد قريننا
(الفدان يدخل عشرين جنيه فى السنة ٠٠)

- عقليات قديمة يا سعادة المدير (أترك الوظيفة) قالها
ناقص العقل ، سبقه الزمن بدورة ٠٠٠ بلفة كاملة ، أنت عقلية
قديمة يا سيادة المدير واعذرني ٠٠ ولكن بفهم آخر ٠٠

- ثمانون جنيها فى الشهر ٠٠ غيرك ايراده ألف ومش كفاية
٠٠ سبعة آلاف فقط هى الفرق بين دخل أم كلثوم وعبد الحليم ٠٠
على أيامك كل شىء برخص التراب ٠٠ اليوم يباع الآدمى بالتراب،
التطور يا مولاي ٠٠ عجلة الزمن طحنت ست الحسن والشاطر حسن
وعقلة الصباغ ، حكاية اليوم مشوار للقمر ٠٠ مشوار اجبارى
للحصول على الرغيف الأبيض ٠٠ ناس كثير حتموت فى السكة ٠٠
نص الطابور يمكن ٠٠ والى يوصل يا سعده ٠٠ العمل شرف ٠٠
نيشان على صدر صاحبه ٠٠ البيوت على خد النجوم ٠٠ المشاكل
تغسل بضوء القمر ٠٠ مفيش حراس ع الجنة : اعفنى يا سعادة
المدير من عم عبده الساعى .

- ياعم عبده افهمنى أنا داخل للمدير بأجازة ٠٠ مرهق وتعبان وفى

حاجة ليومين راحة .. أزور البلد .. عطشان لشربة ماء من قلة
تركتها أمي فوق السطح .. لفحها الهواء الحر .. باتت في حزن
النجم .. بداخلي حر شديد يا عم .. حريق .. العرق كالسيل
يفمرني وليس معي منديل .

- ست مراوح كفيhle بقتله تحت الجلد . ؟ أنا لم أزق
يا سعادة المدير ... كل ما في الأمر أني مجهد وتعبان وعايز يومين
أجازة .. يومين راحة .. عم عبده منعنى من الدخول .. لست
مستولا عن صخب الموظفين بالخارج .. لقد فسدت عقولهم .. جاءوا
ليروا ما حدث بينى وبين عم عبده .. مناقشات لاتنتهى (عن الحرية
والعدل والديمقراطية) .. أشياء لا دخل لها بالعمل .. أشياء
بيننا .

- يومين أجازة لا أكثر .. عرقى أغرق الحجره !! وأتلف
السجادة !! ست مراوح كفيhle بقتله تحت الجلد ، الفصل شتاء؟؟
لم أكن أعرف وشرف منصبك ، ثلاثة أشبار من العرق فوق
السجادة؟؟ ليس منى ، أخيرا فهمت : سرق عم عبده القلة من فوق
السطح ، ربما سقطت منه فانكسرت ..

- تمام يا سيدى القاضى .. قله شغل قنا . لقد أخذ السيل
كل شىء ، البيوت والأولاد ، ومدخر العمر من حكم الصالحين ، لكنه
خلف طينة سخية ، برىء ياسيدى المستشار ، لست مستولا
عما حدث .. لا ذنب لى ، لقد أفصحت له عما بصدر جهينة ..
قلت له : سيدى المدير .. الماء يأتى من تحت .. والمسئول هو دلح
الأسطوات ، هذا ليس سيلا جديدا يا سيدى .. لا فائدة من اخطار
المسئولين ، السيل يأتى من السماء .. والحقد يأتى من تحت . دلح
أسطوات لا أكثر .. الرحمة لقد عودتهم على هذا ، فى بعض المصالح
الأخرى يضربون بالشلوت .. ما بعد الدلع ؟ الجحيم وتطلعات

الزواحف لدنيا السماء (الأسطوات ممتنعون عن العمل) (العمال يطالبون بأجر عن أيام الجمع) فساد عقول ومناقشات لا تنتهي (عن الحرية والعدل والديمقراطية) تلف الحنفيات والامتناع عن تصديقها هو المسئول الأول - هكذا أرى ، والمسئول الثانى فى صدرى ، لن أبوح حضرات الأطباء الأفاضل ، التشريح : لن يجدى شيئا ، لن تقرأوا - ما حفرته الأيام بصدرى - المسئول الثانى لن يحاكم أبدا . . . القانون ان كان لى فعلى غيرى . . . وان كان مع غيرى فعلى . . . لم يعد يهم - كل ما أبغيه يومين راحة . . . ليبتلع الجحيم كل شىء ولكنى متعب مجهد ياسيدى . . . براءة . . . شكرا ، ماذا ؟ براءة حتى الثانية بعد الظهر .

- يا سادة . . . يا حضرات . . . المدير خرج . . . الساعة الثانية . . . الورقة بيضاء . . . لم يكتب الطلب بعد . . . بعض العزاء ورقة بيضاء كالثلج - شوف يا حسنين أفندى . . . تعال يا ابو المجد أفندى - يا أرشيف يا قلم : أنا بكره مسافر البلد . . . مش حعمل حاجة انما حسافر . . . ح أسافر من غير ما أطلب اجازة . . . الورقة البيضة بتقول كده . . . الحق يؤخذ ولا يعطى . . . اقرءوها . . . صحيح نضيفه - لكن فيها كلام كثير . . . لا بد أن تقرأوها فى داخلكم أولا . . . اللى عايز حاجة ياخذها . . . أيام جمع - أيام حد . . . أنا عايز يومين راحة . . . حاخذهم . . .

طاحونة الشيخ موسى

كأى رجل تزوج • تزوج الخواجة (يسى)

وكأى امرأة ولود •• أنجبت زوجته ابنهما (نظير)

وإذا كان الله وحده هو الذى يعطى ويأخذ - فقد أعطى الله كثيرا وأخذ الكثير أيضا ماعدا - نظير - فقد أبقاه الله ، ليأخذ من الدنيا نصيبه •• ومن والده اسمه ولقبه ومتجره الوحيد •

كان نظير يسى شبيها لوالده تماما - ومن شابه أباه فما ظلم-
تاجر القرية والمتصرف فى تموينها من شاي وزيت وسكر وغلل وما
يستجد من أعمال ، تناول الدكان بحرص والده •• لم يطل له سقفا
ولم يعلق لافتة ، ولم يعط الأقة أقة ولا الرطل رطلا •

دورة الايام وحدها ، وتعاقب الخلف للسلف هو الذى غير
من الخواجه نظير شيئا ما •• ليجابه به أصحاب العقول المتفلسفه-
على حد قوله - اشترى راديو ماركة (صوت العرب) صغيرا وعددا
من علب السجاير الفرط وورق البفرة والمعسل ، وبعدها - جاء
بصندوق للحلاوة الطحينية • وأمام الشلة التى تكبر يوميا لسماع
القرآن ونشرة الاخبار •• استعمل وابور السبرتو والكنكه لعمل
الشاي وتوزيعه لقاء نصف قرش للكوب الواحد •• لا يستثنى من
ذلك أحد سوى (سنى أبو سيفين) خفير الدرك والذى يقع فى دائرته
متجر الخواجه نظير ، وعملا بمبدأ المرحوم والده - فكر تكسب وفتح

عينك تفرق في بحور الذهب - فكر الحواجه نظير وبنصف عين فقط
عشر على ما كينة طحين نصف عمر .

وبعدها جاءت المتاعب تباعا .

ما أن اكتمل البناء وجاءت المكنة ، حتى هاج هياج القرية . .
صحيح أنه ليس بالبلد طاحون واحد للغلال وأن النسوة يذهبن
(بخبزة كل يوم) الى المدينة ، وجنيهات ستتدخل جيبه ووداعا
ياقروش - ولكن - ماذا يفعل للشيطان ؟ ما الذي ركب عقل القرية ؟

بسببه سيضيع شهرا استغرقه البناء . . ومبلغا وقدره في
شراء ما كينة (خليل بيه أبو زيد) وجنيهات مضمونة ستتدخل جيبه .
بنشكر ربنا وبنحمده ع النعمة صبح ومسا . . والشيطان ما العمل
فيه ؟ ما العمل ؟؟

أيحصل فيه كل هذا لمجرد أنه يريد أن يوفر للقرية طول
المشوار ، ويريح نفسه من فلسفة مستمعى نشرات الاخبار وثومة
وحليم وتلحمة «سنى» خفير الدرك ، ولكنه هرب من المعصر ليقع في
الطاحون - كما يقول المثل ، اش فلسفة . . واش حواديت تحكى . .
وكلام فارغ عن قرن التور الى شايل الدنيا ، قال كلام كثير . .
ومن يسمع ، استشهد بكلام ناس عقلا . . ولا حد قاله انت فين .

يا خلق ياهوه ، حانقصر المشوار للبندر ، والطاحون أهى في
بلدنا ، وزيتنا في دقيقنا ، وربنا يكفيننا شر الحوجة .

- أولاد ايه اللي تترمي داخل المكنة عشان تدور . . بالشرف
الكلام ده مالهوش أساس ، أنا حأشغل اسطى عنده عشر سنين
خبرة . . حيدور المكنة بدون عيل يترمي جواها .

وتصطدم كلماته بالحائط الاخرس ويتردد صداها رجفة بقلوب

آباء يعبدون الابناء • وأمهات يفضلن تعب المشوار وشقاء العمر ولا
المصيبة في الولد ••

والعمدة يلعلع بكلماته ويقذف بيده في وجه الخواجه نظير
وكانه نذير الشؤم •

– ياخواجه أنا مسئول هنا عن كل روح في البلد •• مايلزمناش
مصايب •• كفاية اللي بنشوفه في البندر من المأمور ووكيله •• احنا
فاضيين لايه والا ايه •• مش كفاية الخناق على الميه والزرع وسرقة
الدره ؟؟ يعنى ماهو احنا من عمرنا بنشوف المكن مايدورش الا اذا
أكل عيل صغير •• مش كل المكن بيصرخ (توت •• توت) •• ماهو
ده ياسيندى الى حاصل من عمر ماتخلقنا •• المكن يدور بعيل يترمى
من جواه وبعدين الولد يصرخ •• وتشتغل المكنة (توت •• توت) ••
يعنى انت حاتغيره ياخواجه نظير •• والا ماهو احنا بهائم •

ويصرخ الخواجه نظير :

– ياخلق ياهوه •• الطاحون حندور قدام عينيكم •• شفوها
وبعدين اتكلموا •• أنا صرفت عليها دم كبدى •• شهر بنيان ،
ومكنة بالشىء الفلانى ، وشقا العمر يضيع •

ويهتز الحائط الانسانى فى قسوة وتبرطم شفاه ، وتنخلع
القلوب على الاكباد، وتتلاطم الايدى وكأنها تطلب رأس الخواجه نظير •

ويعلو صوت الخواجه ليكتم الصيحات :

– المكنة قديمة •• قديمة ياناس •• يعنى لازم أقول ••
أدينى قلت •• ارتاحتوا •• اشتريتها من خليل بيه أبو زيد بتاع
البندر •• مايلزمهاش عيل •• قديمة •• مكنة قديمة •• ارتاحوا
كده •

وردد واحد فى تساؤل مريب :

- ايه اللى خلاه استغنى عنها ٠٠؟ لآرم عطلت وعايظه عيل
تانى ٠٠ ماحناش هبل يا خواجة - وينبرى الخواجه نظير ليسكت
الصوت الشيطانى ، ولكن واحدا ينسلخ من البناء الادمى ويزعق :
- مش معقول المكنة تدور من غير عيل ٠٠ بلاش منها
ياخواجة ٠٠ ش لله ياشيخ موسى ٠٠ الشيخ بيقول احرصوا على
أولادكم من طاحون الخواجة ٠

وتنتاب البحر الانسانى نوبة صوفية ، فيهوم فى سماء المجهول
والرجفة تأكله ، ويمصص الخواجه شفثيه ، ويأخذ وجهه وضعا غير
متناسق ، ويفتح عينا واحدة يزن بها المكسب والخسارة ، وينظر
الى محدثيه خشية أن يخرج من سره هذا الكلام فتكون نهايته ٠

- (يا دنيا ٠٠ قال الشيخ موسى ٠٠ يا ناس الواحد فيكم
تأكل ضهره الشمس لغاية ما يتلايم على اللقمة ٠٠ يقوم يشتري باكو
معسل لمزاج الشيخ ، يحرم نفسه من فردة حمام ولا فرخة مربيهها ٠٠
ويطفحها للشيخ ، وجعتم دماغنا بالشيخ ٠٠ الشيخ ٠٠ الشيخ ٠٠
على مين الشيخ بتاعكم دا ؟ ٠٠ هو الشيخ موسى ٠٠ وأنا نظير ولد
يسى ٠٠ الطاحونة حثشتغل ٠٠ برضاك وغصب عنك ياشيخ موسى ٠
عايز من ناس البلد ايه؟ معسل وأكل؟ يا أخى الله يرزقك ويرزقنا ٠
كله عايد عليا وعليك وعلى الوله من بعدى ٠٠ طيب أنا حاخسر
النهارده - لكن بكره بدينى كله مكسب ٠٠ كله ذهب ، عايز منى
ايه ؟ ٠٠ لفة معسل وأقة حلاوة ٠٠ حاخذ هملك ٠٠ كله يهون فى
حب الولد والمال ٠٠ دى الطاحونة ذهب ٠٠ ذهب ياخلق تعبانة ،
وبالشرف من بيتى بعد سنة لابنيك عمارة فى البندر يامفيد يابنى ٠٠
وبس تكبر ما يرضينى بنت (اندر اوس باشا) عروسة ليك ٠٠

وأفرج عن ابتسامة مكروبة ، وفتح كلتا عينيه ، ودار بالحشد القانع بالنصيب :- (رضينا بالشيخ يا جماعة .. أنا وانتو والعمدة نروح له .. ياناس دا كله بركة .. قدمه تدخل الطاحونة ونعمة ربنا تحل فيها وتشتغل .. المكنة مايلزمهاش ولد لو دخلها الشيخ .. مدد ياقطب ياكبير .. مدد .. كراماتك ياشيخ موسى ، دا له ندر عليا من زمان .. من يوم ربنا مارزقني بمفيد .. حاخذ له لفة معسل وأقة حلاوة طحينية .. وأنا أقطع ايدي لو المكنة ماشتغلتش .. دا كله بركة ..

ويهرول الى الدكان ويخرج ويبيده اللفة ويتبعه طابور صامت الى الشيخ موسى ، فعنده الحل والخلص ، ويستأذن على الشيخ ، وينطقها الشيخ كالقنبلة :

- النبي قبل الهدية .. لكن المكنة لازمها عيل صغير ..

ويرتجف الخواجة نظير ..

- بركاتك ياشيخ موسى .. مددك واسع .. قد الدنيا .. مقامك كبير وتحصل .. بس انت ادخل الطاحونة وكله ينفك لجل خاطر ..

ويمتد تيار كهربى من فم الخواجة نظير يسرى فى الجمع ، وتردد القلوب الخائفة على الضنا الغالى :

- ياواسع المدد مدد .. كرمك ياحضرة الشيخ .. عشان خاطر قبر النبي حبيبك .. ويبلغ الشيخ موسى ريقه مرات والحشية على نفسه ومقامه من الاسطورة التى ستعظمه ، وفى رأسه طفل ممزق الجسد .. دمه يسرى فى تروس المكنة الملعونة .. والصرخات التى افزعت طفولته الساذجة (.. توت .. توت ..) والصيحات تستعطفه فى ارغام .. وساقاه مدفوعتان الى المصير فى زحف اسود ..

مقيت .. كرية .. ولا فكاك من النهاية ولا سبيل الى الخلف :
الجبل البشرى خلفه ، والبحر الاسطوري أمامه . ومن بعيد قبة
ملعونة رأسها فى السماء .. ستصبح فيما بعد اعشاشا لغربان
الخراب التى ستنهش لحمه وتصعد الى فوق .. فوق . والاسطى قدر
ملعون كالشيطان الذى ركب عقل الناس - هذا اليوم - وابتسامته
قاهرة .. ويده صلبة هذا الملعون تشد الذراع فى لفات سريعة
واثقة ..

- ويا واسع الكرم ، ويا ..

وتصر الثروس فى طحن مكتوم من قلة الزيت ، وتشتد القرقة
وتعلو الصرخات (توت . توت .) وتلعلع زغرودة .. وتهمهم شفاه
بالخلاص .

- مدد يا شيخ موسى .. ياقطب .. ياواسع المدد .. مدد .
ويتشعلق الخواجة نظير على أكتاف الزفة ليعلق لافتة كبيرة
بأعلى الحائط :

(.. طاحونة الشيخ موسى ، لصاحبها الخواجة نظير .. وابنه
مفيد ..)

محبوب الشمس

غرس محبوب قبضته الصغيرة فى مجرى
المیضة ، وقلب طبقة من الطین بحجم كفه ، ومضى
يفتش بأصابعه النحيلة عن الدود .. ولما تجمع له
شئ منه .. ألقاه فى كوز من الصفيح .. ومضى
صوب « ترعة الدم » شرق البلد • حاملا كوز
الصفيح بيد وحاملا باليد الاخرى عودا من الغاب،
بطرفه خيط ينتهى بسنارة من نوع الهلب الصغير •

ومحبوب فى الخامسة عشرة من عمره .. قصير جدا ..
ونحيل جدا .. أبيض شعر الرأس .. وكذلك كان لون حاجبيه ..
ومن هنا كان الشيخ كامل امام مسجد أبو عوض يتأمله فى صمت
المؤمن .. ويدور فى فلك الحكمة الالهية التى تنبت الدود فى بطن
الحجر ، والتى أثمرت هذا القرعة من والد فى طول السيمافور وأم
فى حجم الدرفيل .. والحاج خليل والد محبوب طويل فى افراط ..
وصاحب شعر فى لون الليل الشتائى .. والحاجة نفيسة زوجته
غنية باللحم والشحم • وتملك ثروة من الشعر الاصفر كسنابل
القمح المستوية •

كانت القرية برجالها ونسائها وأطفالها تأبى أن تدور فى فلك
الحكمة الالهية بصمت ..

رؤية محبوب كانت تبعث فيهم السخرية .. وتدفعهم الى الضحك ، وعدم قدرته على مواجهة ضوء الشمس .. دفعتهم الى أن يطلقوا عليه «محبوب الشمس» لا «عدو الشمس» كالعادة امعانا في لذع التسمية .

وقد أغضب هذا اللقب محبوب من أغلب أهل البلد وجعله يحتمى ببيته في أكثر الاحيان .. مما أغضب بدوره الحاجة نفيسة، التي شكت للحاج خليل .. الذي حمل تكشيرته للشيخ كامل امام مسجد أبو عوض .

- ده عيل برضه يا سيدنا الشيخ .. والي يكسر بخاطره يكسر ربنا بخاطره .. وخطبة الجمعة ترد عقل المجنون .

ورجع بترضية الشيخ الى الحاجة نفيسة ..

- يا حاجة الشيخ يقول : « الرضا بالنصيب زى عمل الطيب تمام .. ويا بخت من يصبر على المقسوم .. » وأضاف من عنده : «الناس حتلاقي ايه تنبسط بيه ، ما العيشة غم فى غم .. خليهم يضحكوا على محبوب يمكن لقوا مصاييهم فيه »

ولما لم تنفرج أسارير الحاجة ، ضغط الحاج بسمة مكروبة .. أفلتها فى حينها لتملأ تجاوير الدار بقهقهة جوفاء : «بذمتك يا حاجة مش برضه راس محبوب شبه لوزة القطن .. شعره الابيض مش قال خير ..

واكتفت الحاجة يومها بنظرة حنان هدمت بها محبوبها الصغير ، أعقبتها بحسرة ملتاعة على عودة اليابس المصوص بفعل فاعل .

واستمرت ضحكات السخرية تطارد محبوب .. فلا خطبة الجمعة ولا غضبة الحاج خليل ولا مقاطعة الحاجة نفيسة لأغلب نساء

القرية .. أوقفت مخلوقا عند حده ولا أعادت لمجنون عقله .. شيء واحد وهو الذى أخرس الالسن وأمات الابتسامة .. عندما غابت الشمس عن محبوب وعن القرية .. والتف الضباب الاسود بالسماء كالعليق الحشرى بجدوع النبات .

.. غابت الشمس .. فطلع محبوب .. واختفى الناس كأنما ابتلعتهم الارض ..

كان محبوب سائرا فى طريقه والحقول خالية من الفلاحين .. وأعواد القطن منتصبه جافة من الحياة .. وقد انكمش اللوز بأعلاها كاليتيم ، وتحت الجميزة .. كان مسعود خفير الجمعية التعاونية مستلقيا على ظهره وعيناه معلقتان بالفضاء الاسود الكريه المستقوف بالهباب ، لم يكن منتبها لمحبوب الذى دبت قدمه فى الارض بتشرف واصرار .. وما أن نظر اليه مسعود حتى أخرج له لسانه ، ومضى فى طريقه غير مكترث به وهو يرقص . وجمدت قدماه على كلمات مطاردة وكأنها أوتاد ثبتته بالارض :

- احجل .. احجل يامحبيب الكلب .

وتطلع بوجه خال من الحياة الى مسعود ، وقذفه بكلمات ساخرة :

- يا حصرة ماضعت السلفة على الجمعية .. حارس القطن ولا السلفة يامسعود الميرى ..

ولما لم يرد مسعود ، شبك محبوب يديه فى جذعه .. وتثنى فى سخرية كالحنظل ..

- يا عينى على القطن .. حاله ما يهونش على الكافر .. خسارة السماد والتقاوى .. الا قولى يا عم مسعود ، ماتخدوش قطن البلد وترحموا أبويا من السلفة ..

ولما لم يرد مسعود أيضا ، مضى فى طريقه قفزا صوب الترعة .
ولا يدري محبوب لماذا لم يرد مسعود ؟؟ لماذا لم تحركه كلماته
رغم ما فيها من قسوة ؟ لقد قال له « محبوب الكلب » وسكت . .
ولكنه رد اليه الكيلة اردبا . . أغلبه مسعود « بمحبوب الكلب »
هذه ؟؟

وشاط صدره من جديد . . وتصاعدت الى فمه مرارة الكلمة . .
واندلعت فى رأسه سخرية الماضى التى الزمته البيت ومحبوب
الشمس . . بالأمس فقط كان محبوب الشمس . . واليوم محبوب
الكلب . . لم تعد هناك شمس حتى يصبح محبوبها . . كلاب تعوى
فقط فى اللانهاية ، ودار ببصره فى الفضاء الميت ونهشته الحسرة . .
كلاب فقط تعوى فى البعيد . . هو محبوبها . . ذهب الناس .
ابتلعتهم الارض . . اختفت الشمس ولا يدري أين ؟؟

وسقط كوز الصفيح من يده . . وتناثر الدود . . وتلوت
واحدة منها نحو الشرق . . من نفس المكان الذى تطلع منه الشمس .
وأخرى زحفت نحو الشمس . . نفس المكان الذى زحفت اليه منذ
عشرة أيام فائتة ولم تعد . .

وماتت رغباته فى أن يذهب الى الترعة . . وفرق صوابه
العشر . . واحد . . اثنين . . ثلاثه . . سبعة . . عشرة . . وهكذا
مر عليه اليوم الاول بمثل فرقة الاصبع . . ومر الثانى . . واشتدت
طبول الصبية تستنجد بالرب وتستعطف الشمس (. . يارب . .
يارحمن . . طلى يا حلوة طلى . . يا أخت القمر طلى . .) . .

بلع اليأس نتف الرجاء . . وبلعت الدور أهلها . . ماتت
الفرحة . . واختفت زينة المصاطب وسهرات القمر . .

أصبحت القرية كلها ملكا له . . بأرضها وفضائها وكلابها . .

لا شماتة ولا ناس ولا شيء .. عشرة أيام كاملة وهو يخط طريقه الى
«ترعة الدم» شرق البند .. ليصطاد أولا يصطاد .. ولكنه مبسوط
والسلام .

دار رأسه كالمرجيحة .. وبدأت الدور لعينه كمقابر الموتى ..
دارهم قبر يحمل أعز الناس .. (أمه وأبوه) ، (أبوه) ميت حتى ككل
الناس .. فى حاجة الى رمانة يحملها (الشاطر حسن) من (جزيرة
الجان) .. و (الرمانة) كنز .. كالقطن لو تفتح عنه اللوز .. متى
يرجع (الشاطر حسن) من (جزيرة الجان) .. وعلى كتفه (الرمانة)
.. (رمانة) تحمل كل لوز الدنيا .. والشرط اللوز بخيره .

وأمه الحاجة نفيسة لم تعد تحكى حكاياتها عن الشاطر حسن ..
ولم تعد تخبز عيش القمح .. رغيف القمح لا يخمر الا اذا طلعت
الشمس ، عليه أن يأكل عيش الذرة ما دامت الشمس لن تطلع ..
وستأكل القرية معه عيش الذرة ما دامت الشمس قد احتجبت من
أجل خاطره ..

وسأل نفسه السؤال المحير .. والذي يتوه فى فهمه أجدع
عقل فى البلد بما فيهم (عبد التواب أفندى) المدرس الذى يقرأ
الجرنال .. ويسمع الراديو .. ويناقشهم فى عيشة (زمان) وعيشة
(اليوم) ..

قد يقنع (عبد التواب أفندى) كل البلد بأن اليوم أحسن من
امبارح .. وقد يغسل همومهم بوصلة لست الطرب .. ولكن أيقدر
أن يفسر لماذا لا يستوى رغيف القمح فى القرية ، الا اذا اكتوى بنار
الشمس ؟ .. أهى خيوط الشمس البيضاء التى تدخل فى جوف
الرغيف فينتفخ كالديك الرومى ؟ ..

والله الذى يرزق الدودة فى بطن الحجر ، كما يقول والده
أليس بقادر على أن ينفخ الرغيف كالديك الرومى .. لماذا لا يفعل؟؟

هل هو معه أيضا؟؟ ويريد (الله) .. أن يعلم القرية الادب وقصر
اللسان وليمشى كل فى حاله ..؟؟

وتطلع الى السماء وود لو يخترق كثافات الضباب ليرى الله ..
(الله) هناك يتربع على عرش من الذهب وتحت قدميه تجرى حقول
القمح .. وبيده (رمانة) لو انفرط حبهما لشفيت (شهرزاد) من
علتها .. ورجعت زيطة المصاطب وسهرات القمره ، ونفض شكواه
فى يأس الهم : (يارب اقصف بأجل مسعود الميرى) .. آه لو وصلت
كلمته الى قلب البلد .. سيشوون لحمه .. «محبوب الكلب» ، ولكن
ماله والبلد ومسعود وكل شىء معه : الله فى السماء .. والشمس
من خلف الضباب .. والحقول المترامية بلا حياة ، وانقبض قلبه
وكأنه يشيع جنازة ميت عزيز .. ميت قتله بيديه ودفنه مع الشمس
وكفنه بالضباب .. ميت ككل الناس الاحياء الميتين المكفنين بالدور ..
قتلهم بفرحته فى مصيبتهم .. لقد فرحوا قبل ذلك بمصيبته ..
لكنه لم يفرح أبدا ، لانهم لم يخرجوا من دورهم ليشاركوه فرحته ..
الأنهم لم يخرجوا ؟ وتنبه وكأن التساؤل خرج فى غفلة منه : يخرج
الناس ليختاروا له واحدا من اثنين .. محبوب الشمس أو محبوب
الكلب .. أكتب عليه هذا؟؟

وجلس على الارض وانتزع عودا يابساً من القطن ومضى ينثر
الورق الاصفر : الشمس .. الله .. مسعود .. رغيف القمح ..
الجنازة .. الله .. واختلطت الكلمات والصور ، نظر الى فوق
وتحجرت عيناه على صدر السماء .. وكسا نور عينيه ضباب كثيف،
دب قلبه وشاط صدره من الفيظ : «ملعون أبو الدنيا ومحبوب
الكلب ومسعود الميرى .. والترعة .. ودود الميضة ، متى تطلع
الشمس ؟ عشرة أيام .. حداشر .. والقمح فى الصومعة ..
والصومعة فى السماء .. ان لم تطلع الشمس .. سيرعى السوس
فى السماء وسيأكل القمح .. ولن ينتفخ الرغيف كالديك الرومى »

وتمنى لو يصعد الى السماء .. لو ينزل ملك .. ملك يحمله الى
فوق .. لو يقابل (الشاطر حسن) .. فيساعده في العثور على
الرمانة .. ينفض معه الغيم ويفتش عن الشمس .. يفتش عن
الرمانة .. وتتدفق شلالات الخير .. ويتناثر حب الرمان ..
وتجرى أنهار القمح .. وتستحم الصبايا .. يحتضن (الشمس) ..
يحتضن (الرمانة) ويدور معها من الشرق الى الغرب حيث تغيب
ويحملها في الصباح .. ويدور بها كل دروب القرية .. تزفه طبول
الصبية بنداءاتهم الحلوة . (يا أخت القمر طلي .. طلي يا حلوة
طلي) ، هنا : تعصر أمه الغروب .. وتصبغ له شعره بحناء الشفق
.. وهنا : يقف في ثبات ليواجه ضوء الشمس ، مخترقا صدرها
في عناد ، يرى ما بداخلها من (حواديت) .. ويحكيه للناس ،
ويبتسم لابتساماتهم .. وماله .. ما أنا (محبوب الشمس) ..
يقونها وفمه يلوك لقمة من رغيف القمح ..

الوارث

سرقتم مطواة جدى : ذات الحديدين .. والمصدفة بناب الفيل،
اخفيتها وسط حبات البامية اليابسة ببطن الجرة المكسورة الرقبة -
حتى لا يراها خالى عندما يزورنا فيأخذها .

قالت أمى : لقد أخذ خالك كل شىء تركه جدك .. وميراثنا
أكثر من قيراطين يدفع ايجارهما .

كانت تنقل الأرغفة اللينة من الظل الى بقعة مشمسة على
السطح ، قالت : اننى لو كبرت وصرت شيئا آخر غير أبى لأخذنا
كل ميراثنا من خالى وهو أكثر من المطواة والقيراطين بكثير ، وقالت:
ان أبى كان متسامحا عليه الرحمة ..

حين رأتنى أطلع النخلة ورأت بحزام قميصى مطواة جدى ،
خبطت صدرها خبطتين خائفتين ، ليتنى لم أحصل على المطواه من
خالى - هكذا صرخت من أسفل ، وحضنت أنا عود «البكريه» نخلتنا
بصدري وكلتا ذراعى ، كانت تخاف على من «البكريه» فهى عالية
عالية .. وأمى ليس لها فى الدنيا غيرى ..

قطعت جريدتين من «البكريه» بمطواة جدى .. وصنعت
شبكة المثلة .. جعلت الرفاعة على شكل صليب .. وخطت فى
تجسوف المثلك ثوبا من الدانتلا - كان لأمى ولم تلبسه الا ليلة
العرس .. جعلته مستطيلا وخطت قطعين فيه ..

لم يعد قلب أمى - بعد ذلك - ينخطف بعيدا : حيث المقابر
وأبى ، فقد كفت تماما عن طلوع البكريه .. عشقت صيد السمك
من الترة التى تحزم البيوت ، أمى هى التى حصلت على «القرعة» ..
تطفو فوق سطح الماء واتعلق بها .. احضنها بكلتا ذراعى .. هكذا
على صدرى .. وتظل تسبح بى ونطوف حول البيوت والماء يتقافز
خلفى .. اصنع كل ذلك بتحريك الساقين ..

هناك فوق سطح الماء يطفو الجسم .. يكون خفيفا كريشة
حمامة ، أضرب الامام بقوة الذراعين .. والخلف بكلتا الساقين ..
أسمع صوت الماء يملأ اذنى .. بذلك يصبح بعيدا ولا يصلنى نداء
جنيات القاع .. وأكون قد أحسنت العوم .. ولا يطير قلب أمى
شاردا بين القبور والارواح السوداء بحثا عنى ..

كان الماء يتسرب من ثقب الثوب ويبقى لى السمك الصغير ..
يتقافز دائما .. وأكون حريصا من جانبى الا يطول الماء .. عندما
يسقط بكيس الشبكة السفلى - الراقد فى الماء - يكون قد يئس
ولكنه يظل يلعب .. وأبتسم أنا : فسأحتفظ به طازجا حتى نهاية
اليوم ..

حين اصطدت تلك السمكة الكبيرة : ظلت تفتح خيشوميهما
وتغلقهما ، كانت عيناها معلقتين تائهتين تدوران فى الحجر - ولكنهما
كانتا مشدودتين الى نقطة ما فى الفراغ الواسع .

غرفت بالكفين من طين الجرف وصنعت لها حوضا .. ونقلت
اليه الماء ، كانت تسبح فيه ورأسها مرفوع دائما الى أعلى .

وقد وصلت بيتنا : كانت هى قد كفت عن الحركة تماما -
وان ظلت العينان مفتوحتين .. كذا الخيشومان ، وكانت العينان
تبرقان بلمعة غريبة .

شوت أمي نصفها .. وصنعت من النصف الآخر « طاجن »
متبل .

بالليل : جاء خالي لزيارتنا ، أكل من النصف المشوى ، ولم يقرب الطاجن .. كانت معدته مريضة من حوالى العامين - قال له هذا طبيب الصحة ، قال خالي : هكذا أنت شقى ، وأعطاني قرشا . قلت لأمي - بعد أن مشى خالي : عندما أصبح كبيرا لن يعطينى قرشا .. حتى ولو اصطدت التمساح الذى أكل لحم «هنيه» الابيض ، وافقتنى أمي .

فوق السرير الجريد على السطح كنت أحاور النوم كعادتى : وكان ينزلنى بمساعدة شعره الحريري الناعم ولكنى كنت ألمس شعر بطنه الحشن ، تشاغلته عنه بالسماء الدوارة وحاولت غد النجوم : كانوا عشرة وعشرة وعشرة ، ثم توقفت عن العد ، فكرت فى هنيه زوجة «الجمسى» ، وجدها نائمة مع خولى عزبة «بدران» ، كانت هنية عارية تماما ، وكان الخولى عاريا تماما ، قتلها «الجمسى» ، وقتله ، لف هنيه فى ملابس الخولى ولف الخولى فى ملابس هنيه ، حمل الجشتين داخل شوال كبير ورماهما للسماك الصغير والكبير وديدان الماء - ولكن التمساح أكلهما . وطالت لحية الجمسى وطالت أظافره وطال شاربه وغطاه الشعر ولم يعد فى حاجة الى ملابس - هناك حيث يعيش شاردا فى البلاد البعيدة .

كان الهواء الساخن يرقد جامدا بلا حركة فى الجو من حولى .. وكان رأس الجمسى يطل من فوق نخلتنا شديد السواد .. وكانت عين الشمس المملوءة بالجمر الاحمر قد تقلبت كثيرا على سطح بيتنا ذاك النهار .. وأشعلت الجدار الملاصق لجانبى الايمن ، لكنى كنت أرتعش كفرخة مذبوحة بسكين ذات حدين ، كنت أحس جسمى باردا .. وكان قلبى يتقافز بين ضلوعى .. خفت أن يطير بعيدا عنى : حيث القبور وأبى والأرواح السوداء والبوم الناعق والجمسى

الشارد .. صرخت وانفجرت أكثر في حضن أمي ، قلت : هي غيوم
سوداء وكثيفة تتحرك أمام مقلتي العين ولا يعود الانسان يرى ..
أليس كذلك أصبح ميتا !؟ ، قالت أمي : حتى متى أظل صغيرا ،
ضمتني الى صدرها وظلت تمشط شعري بأصابع يديها المرتجفتين ،
قالت : متى تكف عن هذه الاحلام لتحمي نفسك من الكوابيس
السوداء ..

يحيى الطاهر عبد الله

فهرس

| الموضوع | الصفحة |
|--|--------|
| ١ - ثلاث شجرات كبيرة ثمر برتقالا | ٧ |
| ٢ - جبل الشاى الأخضر | ٢١ |
| ٣ - الكابوس الأسود | ٢٧ |
| ٤ - (٣٥) البلتاجى (٥٢) عبد الخالق ثروت | ٣٣ |
| ٥ - معطف من الجلد | ٤٣ |
| ٦ - حصار طروادة | ٤٩ |
| ٧ - الثلاث ورقات | ٥٥ |
| ٨ - ليل الشتاء | ٦٧ |
| ٩ - قابيل الساعة الثانية | ٧٩ |
| ١٠ - طاحونة الشيخ موسى | ٨٧ |
| ١١ - محبوب الشمس | ٩٣ |
| ١٢ - الوارث | ١٠١ |

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٥١/١٩٧٠

المهينة المصرية العامة للتأليف والنشر
١٩٧٠